لسان المغرب

العدد #1 23 دجنبر 2023 www.thevoice.ma الإيداع القانوني: 2022/14 مدير النشر: يونس مسكين

غزة..
قلب العالم

زوروا موقعنا
الإلكتروني

افتتاحية

إفلاس مائي

عليك أن تكون عديم الشعور والإحساس، وفارغا من الإنسانية كي تنصت إلى خطاب رئيس الحكومة عزيز أخنوش هذا الثلاثاء، 19 دجنبر 2023، ولا تتأثر أو لا تصدقه. شخصيا شعرت بصدق الرجل وهو يخبرنا أن أياما سوداء في انتظارنا في الأفق القريب، بسبب اقترابنا من استنفاذ كل ما وهبته لنا الطبيعة منذ تشكلت الأرض من مخزون مائي.

أصدق ما تقوله الحكومة أيضا وهي تُخرج وزيرها في التجهيز والماء نزار بركة هذا الخميس، 21 دجنبر، إلى ندوتها الصحافية الأسبوعية كي يخبرنا أن الأمطار التي سقطت هذه السنة تقل بنسبة 67 في المائة مقارنة مع سنة عادية، وإن الجفاف مس ولأول مرة حتى أكبر خزان مائي، منطقة اللوكوس، والذي لا يضم حاليا سوى أقل من 10 في المائة من المياه التي كانت سدوده تخزنها في مثل هذه الفترة من السنة.

إذا كان هناك ملف طارئ وخطير ومستعجل ويستوجب الانكباب الفوري والجماعي على معالجته كل من موقعه، فهو ملف الماء الذي يزحف بنا نحو العطش الشامل منذ سنوات، بينما الدولة تحاول تدبيره بعيدا عن الأنظار متجنبة مصارحتنا أو إثارة الخوف فينا. خرجات أخنوش وبركة الأخيرة تعني أن "الفأس جات فالراس" وأن الكارثة حلّت أو تكاد، وكما يقول تعبيرنا الدارج: "ما بقا ما يتخبى".

لكن وبما أن تشخيص الداء هو الخطوة الأولى والحتمية للوصول إلى الدواء، فإن من تبعثهم الدولة الآن لمصارحتنا بفداحة الموقف وتحضيرنا للأسوأ، عليهم أن يقولوا الحقيقة، ويعترفوا باسم الدولة أن ما أوصلنا إلى حالة إفلاس مائي، ليس الطبيعة والتغير المناخي وتوالي سنوات الجفاف فقط، بل أولا وقبل كل شيء هو الاختيارات التدبيرية التي أقدمت عليها الدولة في العقود الماضية والتي راهنت على نموذج اقتصادي يعتمد على الفلاحة واستهلاك المياه.

ما معنى مخطط المغرب الأخضر الذي يعني بكل اختصار خلق القيمة الاقتصادية انطلاقا من تطوير الفلاحة، في الوقت الذي كانت كل التقارير الوطنية والدولية تحذر من المنحى الذي تتخذه التطورات المناخية؟ ما معنى أن تطلق أيادي المحظوظين في أراضي الجموع وتمكنهم من التمويلات ليقيموا الضيعات والواحات في مجالات معروفة تاريخيا بتوازنها البيئي الدقيق وتمكنهم من جني الأرباح من وراء تصدير أغلى وأثمن ما يملكه المغاربة: ماؤهم؟

> **فاللهم اسقنا الغيث وارزقنا الإصلاح**

ثم ما هي هذه القيمة الاقتصادية التي تنتجها الفلاحة بشكلها الحالي؟ ألا نخفي وراء أرقام المبيعات وفرص الشغل نمطا أشبه بالعبودية والاسترقاق وإعادة إنتاج الفقر والأمية والهشاشة؟ هل يعقل أننا نفعل كل ذلك عمدا لأن هذه التشوهات يعتبرها البعض منتجة وتربة خصبة للاستثمار السياسي؟

ما معنى أن يصعد رئيس الحكومة ووزير الماء منصات الخطابة للتحذير من العطش بينما سياسات الدولة سمحت في السنة الماضية وحدها بتصدير 700 ألف طن من الطماطم؟ هل نعلم أن الكيلوغرام الواحد من الطماطم يستهلك ما معدله 214 لتر من الماء؟ هل نعلم أن كيلوغراما واحدا من فاكهة الأفوكادو التي فتحنا باب الاستثمار فيها للأجانب وتصديرها يستهلك قرابة 300 لتر من الماء؟ كيف تخبرنا المعطيات الرسمية المغربية إن الفلاحة تستهلك لوحدها 87 في المائة من الماء المعبأ، ونجرؤ على مطالبة الأسر بالاقتصاد في الاغتسال والوضوء؟

إن إشكالية الماء التي تهددنا بالكارثة اليوم، لا تعني تغييب النقاش السياسي أو الكف عن مساءلة التدبير العمومي بدعوى أننا في خطر، بل تجعل مسألة إصلاح الدولة أكثر راهنية وإلحاحا، لأن ما سمح بتبديد ثروة المغرب المائية وإيصاله إلى حافة الإفلاس المائي هو وضع سياسي ومؤسساتي يجعل الدولة عمياء وعاجزة عن الاستباق وحماية الاستقرار. وضع يسمح للمصالح الفردية والفئوية والخاصة بالاستفراد بالقرار وامتصاص الدم من عروق الدولة والمجتمع وتحقيق الأجندات الأنانية دون أدنى اعتبار للصالح العام.

فاللهم اسقنا الغيث وارزقنا الإصلاح.

يونس مسكين

امسح للاستماع
للبودكاست

قال إن منطقة الساحل تشبه واديا كبيرا يصب في جزر الكناري

سانز رولدان:
أكثر الحدود اختلافا في الكون هي التي بين المغرب و جزر الكناري

ترجمة: محمد الحاجي

في أسبوع مليء بالأنشطة بجزر الكناري، رصدت صحيفة دياريو دي أبيسوس في تأريفي حضور موظف سام يتمتع بسجل حافل في وظائف عمومية مختلفة، فكان من الضروري الحديث إليه للحصول على رؤية خبيرة للجغرافيا السياسة في العالم حاليا و تأثيرها على جزرالكناري.

هذه الترجمة الكاملة لنص الحوار مع الرئيس السابق للمجلس الأعلى للدفاع (2004-2008) ومدير جهاز الإستخبارات الإسباني السابق (2009-2019) الجنرال المتقاعد فيليكس سانز رولدان كما نشرته يوم الأحد 17 دجنبر

سانز رولدان

س: بعد الاستماع إلى عرضكم خلال الندوة حول ما يجري في العالم، أود التركيز على بعض من أموركم الشخصية، وعلى القضايا المتعلقة بالمحيط الجيوسياسي لجزر الكناري التي تعرفونها جيدا منذ شبابكم بحكم اشتغالكم السابق في تأريفي ...

ج: هذا سؤال يتطلب تحليلاً معمقاً يأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي والجيوسياسي والاقتصادي والاجتماعي للمغرب. فيما يلي بعض العناصر التي يمكن أن تسهم في تفسير هذه المعضلة:

ج: نعم هذا صحيح، اشتغلت كقائد...

س: لكن قبل ذلك كنتم في العيون.

ج: نعم ، بعد تخرجي من الأكاديمية العسكرية، تم تعييني في العيون، ومن أجل الذهاب إليها، كانت الرحلات الجوية تتم عبر جزر الكناري، ولم تكن هناك رحلات يومية مما اضطرني إلى البقاء ثلاثة أو أربعة أيام في انتظار السفر، اكتشفت معها أن هذه الجزر هي شيء فريد من نوعه.

س: في تأريفي اشتغلت في أليدا ..(متحف عسكري في تأريفي)؟

ج: نعم لحسن الحظ، و لقد أتيحت لي فرصة القدوم إلى جزر الكناري في مناسبات عديدة، ولكن الإنطباع الأول لن يمحى بالنسبة لشخص جاء من من كوينكا (يبتسم).

س: وُلدتم في بلدة بضواحي كوينكا تسمى أوكليس، كم عدد سكانها؟

ج: حاليا لا تضم سوى حوالي 50 شخصا، ويمكن أن يزداد هذا العدد قليلا في نهايات الأسبوع والعطلة الصيفية.

رابط الحوار الأصلي

س: كيف يمكن لشخص ولد في أوكليس أن يصل إلى رئاسة المجلس الأعلى للدفاع و إدارة جهاز الإستخبارات؟

ج: هو أمر ناذر بالتأكيد، و أعترف أنني لا أعرف من أين استلهمت مهنتي، قد يكون ذلك من الطفولة حيث إن والدي كان حارسا في صفوف الحرس المدني، و كانت والدتي أيضا تستعد بكل جدية للاستعراضات العسكرية في البلدة، بعد الحرب الأهلية، لقد كان يبدو لي الأمر رائعا وأنا في الخامسة عشر من عمري...

س: الآن و بعد أن تزايدت مظاهر التطرف في الحياة السياسية و الحزبية في إسبانيا، أنتم نموذج للإخلاص لواجبكم من خلال التمتع بثقة كل من حكومتي الحزب الإشتراكي و الحزب الشعبي؟

ج: هذا أمر متأصل في الجيش. نحن العسكريون لا نخدم الحكومات بناءً على لونها، لأن خدمة الجيش هي للدولة وليس الأحزاب. عندما كان عمري 17 و 18 عاما، أي في مثل سن الأميرة ليونور حاليا، أقمنا علاقة مع الدولة من خلال القسم العسكري الذي هو قسم خالد لا إيديولوجيات فيه. هذا القسم يرافقنا دائما وعندما تكون لدينا شكوك، فنحن نتذكر ما أقسمنا عليه.

س: دعنا نتحدث عن جزر الكناري، التي يعطيها الجيش الإسباني أهمية كبيرة؟

ج: عندما تفاوضنا على انضمام إسبانيا إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو)، أتيحت لي الفرصة (ولحسن الحظ لأنني تعلمت الكثير آنذاك) للمشاركة كقائد، وطلبنا استثناءات حقيقية فيما يتعلق بجزر الكناري، وهو الأمر الذي لم يفهمه ممثلو الحلف، نظرًا إلى أننا قدمنا استثناءات حقيقية فيما يتعلق بجزر الكناري.

كان ذلك شرطًا أساسيًا لكي تنضم إسبانيا إلى حلف شمال الأطلسي، حيث يجب اعتبار جزر الكناري أرضًا أوروبية. وبما أن لديهم قيادة لأوروبا وآخر لأفريقيا، فإنهم لم يفهموا ذلك (يبتسم). في النهاية فعلنا ذلك، وانتهى بهم الأمر بإضافة امتداد لخريطتهم لتشمل جزر الكناري كجزء من أوروبا، وتم إنشاء قيادة جزر الكناري بحيث يكون هناك حوار مباشر هنا في حالة حدوث أزمة كبيرة انطلاقا من التحالف.

س: كيف تتم المشاركة في ذلك؟

ج: لم يعتقد أحد حينها، كما لا أعتقد أن عاقلا يعتقد الآن، أنه كان من الضروري أن يكون هناك تواجد فعلي في جزر الكناري لجميع قوات التحالف للدفاع عن الجزر في حالة تهديد ما، ولكن كلما كانت هناك أزمة تشير إلى هجوم أو شيء من هذا القبيل، يجب أن يكون قرار الرد من هنا و في وقت قصير جدا.

س: هل نحن مستعدون؟

ج: لقد تم إجراء بعض المناورات العسكرية المهمة هنا. و أتذكر أنه عندما كنت رئيسا للمجلس الأعلى للدفاع، بعثت بتعزيزات عسكرية مهمة للغاية إلى جزر الكناري.

س: من المعروف أن لديك مواهب في الدبلوماسية. هل من المهم جدًا أن تتعاون إسبانيا مع المغرب؟

مشهد عام لجزر الكناري

ج: إسبانيا، مثل أي دولة متحضرة أخرى، يجب أن يكون لديها علاقة حسن الجوار مع جيرانها. وما يجب أن نتذكره هو أن علاقتنا بالإسلام تعود إلى أكثر من ثمانية قرون. وهناك عناصر ثقافية تأتي من هناك. لذلك، علاقة إسبانيا بالعالم الإسلامي ليست كعلاقات باقي الدول معه، سمّها ما شئت. علاوة على ذلك، نحن جيران، ولدينا ترابط جيوسياسي لأن الأقدار وضعتنا هنا (يبتسم ابتسامة واسعة)، مع مسافة بحرية بيننا تبدو كبيرة جدًا لكنها أضيق من نهر تينيسي.

س: إذن؟

ج: تبعا لكل ما ذكرنا، كيف لا يمكننا أن نفعل كل ما هو ممكن لجعل علاقتنا جيدة وحسنة مع الجوار؟ ليس هذا فحسب، بل ربما تكون الحدود الأكثر حساسية، حيث تكون الاختلافات بين جانب وآخر أكبر، موجودة هنا، في جزر الكناري. لأنها ليست مجرد اختلافات فيما يتعلق بالناتج الإقتصادي الإجمالي أو التنمية أو أي نوع آخر. علاوة على ذلك، على كل جانب من هذه الحدود هناك معتقدات مختلفة. كثيرا ما يقال إن أكبر الحدود هي حدود نهر ريو غراندي، بين المكسيك والولايات المتحدة، ولكن على جانبي نهر ريو غراندي يفهمون نفس اللغة ويتشاركون في نفس العناصر الثقافية. عكس ما يحصل هنا على هذه الحدود، هناك اختلافات كبيرة ومفاهيم ثقافية مختلفة جدًا.

س: هل الحدود بين جزر الكناري والمغرب هي الأكبر على هذا الكوكب؟

ج: هي أكبر بكثير. هناك اختلافات كبيرة بين الجانبين، إذ لا نجد حدودًا برية أخرى تنتج هذا النوع من الاختلاف إذا التزمنا بالاعتبارات العادية. ولا يمكن تجاهل أن لدينا معايير أخلاقية مختلفة تمامًا. أنا لا أشير فقط إلى المعتقدات الدينية، بل أيضًا إلى موضوعات مثل دور المرأة في المجتمع وغيرها من المواضيع التي يمكن أن أستدل بها. باختصار، هذه الحدود، حيث تحدث الكثير من الاختلافات، تتطلب جهدًا أكبر لفهم بعضنا البعض أكثر مما لو كان كلا الجانبين يعيشان في ظل معايير أكثر تشابهًا.

س: خلال ممارستك لمهامك، كيف كانت علاقتك بالمغرب؟

ج: كان لدي دائمًا انطباع جيد عند زياراتي للمغرب، جيد جدا. كان لدي شعور أنني في بيتي. أقولها كلما سُئلت عن ذلك في مرات عديدة، إن واجبنا هو العيش معا.

س: إلى أي مدى يمكن أن يشكل عدم الاستقرار في منطقة الساحل خطراً على جزر الكناري، مع العلم أن المسافة بينها وبين مالي أقصر من المسافة مع مدريد؟

ج: في الواقع، منطقة الساحل التي تشبه واديًا كبيرًا عند مصبه توجد جزر الكناري، تشكل مصدرًا للقلق. في السنوات الأخيرة، كانت هناك ستة انقلابات، لكن الشيء المهم هو أنه يتعين علينا أن نتعلم كيفية التعامل مع هذه الأزمات كما نتعامل مع الأزمات الكبيرة. ليس بهدف التواجد في منطقة الساحل، لأنهم هناك من حقهم أن يقرروا شؤونهم بالطبع، ولكن فقط لمراقبة الوضع.

لسان المغرب باق

إخلاص لعلج

طنجة، حومة بنيدر، الثامن من ثاني شهور السنة، فبراير، سنة سبعة، تسعمئة وألف، لكوازيط البلد حينها، انضاف لسان، أنطقه افرج الله نمور أولى حروفه، روى به حال المغرب، قص عبره أنباءه، وضم في طياته بنود مسودة أول دستور للبلد. صحيفة تبنت خطاب السياسة والتجارة والأدب، وعرضت مضامينها أسبوعيا لظمآى الخبر، مقابل عشرين سنتيما. واختير لها من الأسماء حينها "لسان المغرب".

لسان الناس لغتهم، وقلبهم الناطق، فلما أراد ابن منظور تأليف معجم شامل وجامع ترتيبا ووضعا للمواد اللغوية، لم يجد له من الأسماء أفضل وأخير من "لسان العرب"، فصار بذلك أشهر مجلد له بين الخمسمائة التي ترك، بين تأليف واختصار. إن اللسان، سيد الإعراب والإفصاح. فإن هو تخلف في التعبير الدقيق، والصحيح، اختل الفهم، وبطل الحجاج وفسدت النيات. وإذا فسدت النية، وقعت البلية.

الرباط، زنقة الينبوع، الشهر الحادي عشر بالسنة، نونبر، ثلاثة وعشرون وألفين. لازال الوطن في تيه، مئات الأفواه تصرخ، وتصرخ. الصراخ يتعالى، والأصوات تتشابك، والتيه، التيه، يغزو الساحات جلها. لكن، لا لسانا رشيدا بليغا يبوح. وإن ذلاقة اللسان، لا تستدعي أبدا سلامة اللفظ فحسب، بل تستدعي لبابة الفهم، وفضيل المقصد، ولسان الناس، صوتهم. وصوت الناس، صرختهم، هياجهم، سكينتهم، همسهم، وسكونهم حتى. في تسجيله خلود للذاكرة، وفي تدوينه حفظ لا يفنى.

وحتى لا تكون -أو تظل- "أفة حارتنا النسيان"، فتتكرر مصائبنا، فإن تأييد الصوت غاية لا بد أن تدرك. وفي الصوت بوم، وفي البوم الملاذ والمعتصم. وإنه ليس أحب للمرء، من أن يجد من يسكب نفسه في نفسه، فردا كان، أو مكتوبا، فيصير له الملاذ والمعتصم.

إن نمور قد مات حتما، إلا أن فرح الله أبدا لا يموت، فرج الله باق، يأتي من حيث لا نحتسب، ويضعه الله حيث لا نعلم، فرج الله قد تلقاه، واليقين أنه حتما يلقاك. قد يلقاك في كف مسكين. نمور مات حتما، لكن لسان المغرب، صوت المغرب باق. وإن كنت تفتش عنه، فهو ملاقيك، حتما ملاقيك، في كف مسكين، في حبره، ملاقيك هذا لسان المغرب، لسانكم.

هذا صوت المغرب، صوتكم، همسكم، سكونكم، يروي أسبوعيا لا نبأكم، بل نبأنا أجمع، نخلد به الذكر والذكرى. نخطه نحن، فيقرأه العالم، ربما بعيونه، لكن الأكيد أنه بصوتنا يقرأ إن الصوت هوية. وفي حمل الهوية وعد وعهد، وصدق.

> **هذا صوت المغرب، يرفع إليكم خطاب السياسة، والتجارة، والأدب، وأكثر**

وهذا صوت المغرب، يرفع إليكم خطاب السياسة، والتجارة، والأدب، وأكثر. هذا صوت المغرب، صوت الهوية، لكل هوية. منكم إلينا، ومنا إليكم. نعطي سويا صدى، لصوت البلد، باسم البلد. أما قبل، ثم أما بعد، فإن خير الاستهلال الحمد، وأجل الختام الحمد. فمن قبل ذا وذاك، وبعد ذا وذاك، نحمد الله أطيب الحمد وأوفاه، -ولو كان للحمد لفظ أبلغ من هذا، لحمدناه به تعالى- ، وإنا على يقين أنا مهما اجتهدنا في ذلك، قصرنا شديد التقصير. ولا نستثني ذكرا أبدا، خير من نطق فأفصح، وكان للبلغاء قدوة وإماما.

صل الله عليه وعلى آله الأطهار الطيبين، وصحابته الأبرار الخيرين.

من الرباط، زنقة الينبوع، الشهر الثاني عشر بالسنة، دجنبر، ثلاثة وعشرون وألفين.

هنا، لصوتكم صدى يكسر حدود المدى.

امسح للاستماع
للبودكاست

الجزائر فاعل فوضوي

إسماعيل حمودي

تلوح الجزائر بقدرتها على فرض حالة حرب في شمال افريقيا، مستعملة في ذلك ذراعها المسلح؛ جبهة "البوليساريو" لزعزعة حالة الأمن انطلاقا من الصحراء. من المرجح أنها عدلت عن وهم خوض حرب مباشرة وتحمل نتائجها، لكنها اختارت السير على حافة الهاوية، كأسلوب للضغط من أجل تحسين موقعها التفاوضي، والتعبير للقوى الدولية عن امتعاضها من المسار الجديد الذي دخله النزاع الإقليمي حول الصحراء، ومن تآكل نفوذها في ملفات أخرى خصوصا في ليبيا ومنطقة الساحل، مستغلة حالة الاضطراب والفوضى التي يمر بها النظام الدولي.

> **تدرك الجزائر أبعاد الدينامية الجديدة لحل النزاعات، والرغبة في تجاوز حالة الجمود واللايقين**

ما تسعى إليه الجزائر من خلال ذراعها المسلح "البوليساريو"، أخذا بعين الاعتبار معطى تنامي النزاعات المسلحة، هو الدفع نحو توسيع حالة الفوضى وعدم الاستقرار في المنطقة. فلماذا تضغط الجزائر في هذا الاتجاه الفوضوي؟

الأسباب تبدو متعددة، إذا نحن وضعنا الاعتداء على مدينتي السمارة وأوسرد في سياقه العالمي والإقليمي. أولا، يلاحظ تنامي النزاعات المسلحة عالميا؛ ففي 2022، سجلت دراسة أعدها "معهد بحوث السلام" في السويد، اعتمادا على بيانات جمعها "برنامج أوبسالا لبيانات النزاعات"، نحو 55 نزاعا عنيفا حول العالم، وهو أعلى رقم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

نزاعات تتميز بشدتها وطول أمدها، بحيث استمرت في المتوسط ما بين ثماني سنوات إلى 11 سنة. ثانيا، لوحظ أنه طيلة العقد الماضي، لم يجر التوصل إلى أي اتفاق سلام شامل بوساطة دولية. بل إن أقصى ما تحقق، إقليميا مثلا، هو تهدئة النزاعات المسلحة، لفتح الطريق أمام مفاوضات، لم تحقق أي شيء ملموس لحد الآن، كما هو الحال مثلا في ليبيا واليمن وسوريا.

وثالثا، يظهر أن النزاعات المسلحة لا يمكن إدارتها لفترات طويلة دون حل جذري، ففي حالة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وقع تجميد الصراع وطي المفاوضات عمليا منذ 2014، بسبب رفض إسرائيل التفاوض مع السلطة الفلسطينية، وتقويضها لمقومات حل الدولتين في الضفة والقدس من خلال الاستيطان والتهويد، لكن هذا الوضع تفجر بشكل مفاجئ يوم 7 أكتوبر 2023 من خلال عملية طوفان الأقصى. وفي 2020، وبعد 30 عاما من اختلال أرمينيا لإقليم "ناغورني قرباغ" الذي تعترف الأمم المتحدة بأنه إقليم أذربيجاني، انفجرت مواجهات مسلحة بين البلدين، استعادت خلالها أذربيجان الإقليم بقوة السلاح. وفي الحالتين تأكد أن المقاربة التي تعتمد إدارة النزاعات بدل حلها لا يمكن أن تصمد لفترة طويلة.

هناك حاجة إلى دينامية جديدة ترجح مقاربة حل النزاعات بدل إدارتها، وهي دينامية بدأت في التبلور لدى الأمريكيين أيضا، لأسباب عدة منها الطبيعة المتغيرة للنزاعات ذاتها، ومنها انخراط قوى إقليمية ودولية، مثل الصين وروسيا والإمارات والسعودية وتركيا وإيران، بشكل مباشر أو غير مباشر، في تلك النزاعات، كما هو مشاهد في ليبيا واليمن وسوريا وغيرها، ما يزيد من صعوبات التسوية. ومن الطبيعي، والحالة هاته، أن تصبح الأمم المتحدة، التي كانت ذات يوم الوسيط المفضل في تسوية النزاعات، فاعلا هامشيا. بل إن الصراع الجيوسياسي المتصاعد بين الغرب من جهة، والصين روسيا من جهة أخرى، يساهم في فقدان آليات الأمم المتحدة لنفوذها ومصداقيتها.

تدرك الجزائر أبعاد الدينامية الجديدة لحل النزاعات، والرغبة في تجاوز حالة الجمود واللايقين، بما في ذلك احتمال التوصل إلى حل للنزاع حول الصحراء، وتضع التحول في الموقف الأمريكي، المتمثل في الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء بكل تداعياته على مواقف دول أخرى، ضمن هذا السياق. لكن بدل أن تنخرط في الدينامية الجديدة باعتبارها فرصة تعيد الأمل في بناء مغاربي شكل حلما لأجيال عديدة، نراها تعاند الواقع والحلم معا، وتهدد بمزيد من الفوضى، لن تنجو منها وقد تكون ضحيتها الأولى بكل تأكيد.

امسح للاستماع
للبودكاست

المغاربة والأسد

حكايات من تاريخ طويل

هشام الأحرش

إذا كانت المصادر التاريخية لم تقدم لنا مادة وفيرة حول وجود الأسود ضمن مجال القصر السلطاني للملوك المغاربة، فإنها كافية للتدليل على أن قصور الملوك المغاربة منذ الزمن الموحدي إلى وقت قريب، شكلت فضاء لوجود الأسد ضمن ما أصبح يسمى اليوم بحديقة الحيوان، أو حظيرة الحيوانات كما كانت تسمى.

إذا كان الأسد حاضرا اليوم كرمز للمملكة المغربية يزين عملتها ويطلق كلقب على منتخباتها الرياضية، فإن رمزيته لا يمكن اختزالها في هذا البعد فقط، بل تمتد إلى جزء من تاريخ وحياة المغاربة، حين كان اسم الأسد يطلق على الأفراد والقبائل.

فإذا كانت العرب تتسمى بأسماء الأسود،ونجد اسم أسامة كأحد أكثر الأسماء تداولا، فإن الأمازيغ، الذين كان الأسد جزءا من مجالهم الطبيعي، قد تسمّو كذلك باسم الأسد، حيث نجد أن إزم وهو اسم الأسد بالأمازيغية، كان مما يطلق على الرجال ذوي المكانة المرموقة داخل المجتمع الأمازيغي.

وكمثال على ذلك، نجد محمد بن عبد الله، المعروف بإزم أي الأسد، الذي أطاح بسلطة أبيه، أكليد عبد الله السكسيوي، من إمارة قبائل سكساوة زمن السلطان أبو سالم المريني (محمد أقديم التحولات السوسيو-ثقافية في منطقة الأطلس الكبير ص 106).

وقد حملت الكثير من المدن والأماكن اسم الأسد، فمدينة واد زم مثلا وهو الاسم الذين يجمع بين العربية والأمازيغية، ما هو إلا وادي الأسد. كما أن هناك قبائل ومداشر تسمى باسم الأسد كمدشر "بوهروثن"، بقبيلة بني توزين في الريف، و"بوهارو" الذي ليس سوى اسم الأسد بأمازيغية أهل الريف.

هذا الحضور القوي للأسد في تاريخ المغرب، والمرتبط بدلالة أسماء الأماكن، سيكون له حضور آخر مرتبط باستئناسه، بل سيكون جزءا من فضاء القصور الملكية، ناهيك عما وثقته كتب التاريخ عن رحلات صيد الملوك.

المغرب أرض الوحيش

أقدم من أشار إلى الأسد في منطقة المغرب هو هيرودوت بقوله: "في اتجاه الغرب، توجد حيوانات أكثر وأشجارا أكثر من أرض الرحل". هذه الثروة الحيوانية هي التي جعلت المغربي يهوى الصيد البري ويتعاطاه، ومن خلالها كان يغني مائدة طعامه باللحوم الطرية، كما يتعاطاه للمنفعة الاقتصادية بالتأكيد. ومن بين المعاصرين لعهد الملك الموري يوبا الثاني وابنه، نجد المؤرخ الروماني بلين يذكر وجود الفيلة في النواحي القريبة من سلا، فيقول: "توجد مدينة سلا الواقعة على نهر يحمل نفس الاسم، ويعيش حولها قطعان من الفيلة". بينما نلاحظ في نص حنون القرطاجي أن الفيلة كانت تعيش في نواحي طنجة.

ومما لا شك فيه، أن المعلومات الغزيرة أو المبالغ فيها، التي دونها يوبا الثاني، الملك الموري، في كتابه "الليبيات عن الفيلة وعاداتها"، ترجع إلى علمه الواسع بهذه الحيوانات، لأنها كانت تعيش بالمغرب في عهده، وقد كانت تُصطاد لجلودها، إضافة الى استعمالها في الحرب، إذ كان المحاربون يرابطون في هوادج حصينة تشد على ظهوره ، حيث يتسبب ظهور الفيلة في ارض المعركة في هلع في صفوف الأعداء ولاسيما الخيول .

وبجانب الفيلة كان وجود الأسد أمرا مألوفا في المغرب، حيث نجد الكثير من الصور التي تمثله وتمثل صيده في الكثير من لوحات الفسيفساء التي عثر عليها في جميع جهات شمال إفريقيا، ومثل ذلك يقال عن النمور والفهود التي كانت توجد بكثرة في مناطق الاطلس، وكلها حيوانات كانت هدفا للصيد.

أما الوحوش، التي كثيرا ما تذكرها النصوص، فهي الأسود التي اختفت من الجزائر وتونس في القرن التاسع عشر، والتي بقيت موجودة في المغرب. فالأسد يظهر على بعض النقود الأهلية (نقود جوبا الثاني)، كما يظهر مصاحبا لإفريقيا على بعض عملات الإمبراطورية الرومانية، ويتحدث المؤرخ بيلين نقلا عن الملك يوبا، عن قبيلة بأسرها قضت عليها الأسود. بل إن الأسود كانت تجرؤ على الاقتراب من المدن، وهو الأمر الذي استمر إلى بدايات القرن 16 ميلادي، حين وصف بيلين مدينة تيفلت او تيفلفلت كما سماها، حيث أشار إلى وجود غابة تأوي اسودا شرسة جدا.

تأنيس المغاربة للأسد

تشكل قصة سيدي أبو الليوث، أو أبو حفص عمر بن هارون المديوني (توفي سنة 1199) والمعروف عند العامة بـ"سيدي بليوط مول النخلة"، دفين مدينة الدار البيضاء، أحد النماذج البارزة في استئناس المغاربة للأسد، حيث تحكى عنه كرامة تأنيس ليوث كان مجال تحركها، كما تشير المصادر التاريخية في غابة ممتدة من عين السبع إلى مقربة من مدينة أنفا، وهو مجال واسع بالنظر إلى أن مدينة أنفا التاريخية لم تكن تشغل إلا مجالا محدودا، والباقي تشغله غابات تمتد خارج هذا المجال. وهو ما أورده الشريف الإدريسي، الجغرافي الشهير، خلال القرن السادس الهجري، أي القرنين 12 و 13 الميلادي.

وإذا كان "سيدي بليوط" كما تسميه الفئات الشعبية، أو أبو الليوث كما هو مثبت على لوحة أمام الضريح، نموذجا للرجل المغربي المستأنس بالأسود، فإن للا فاطمة بنت محمد، تشكل نموذجا آخر للمرأة المستأنسة للسباع. فهذه المرأة التي دفنت مع لبؤتها بالقرب من مدينة آسفي، يعتبر ضريحها ملاذا للراغبين في شفاء حيواناتهم. فحين تعتل صحة الحيوان، يأخذ صاحبه الوتد الذي يربطه فيه عادة، ويقوم بدقه في ضريح الولية الصالحة، بالموقع الذي توجد به اللبؤة داخل الضريح، حتى يكون الوتد قد امتص المرض برمته، مما يؤدي الى الشفاء العاجل للحيوان السقيم، كما يُعتقد.

حديقة الحيوانات في قصر السلطان

إذا كانت المصادر التاريخية لم تقدم لنا مادة وفيرة حول وجود الأسود ضمن مجال القصر السلطاني للملوك المغاربة، فإنها كافية للتدليل على أن قصور الملوك المغاربة منذ الزمن الموحدي إلى وقت قريب، شكلت فضاء لوجود الأسد ضمن ما أصبح يسمى اليوم بحديقة الحيوان، أو حظيرة الحيوانات كما كانت تسمى.

فالقصبة السلطانية التي سيشيدها الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب ما بين باب نفيس وباب الصالحة، مستندة إلى السور المرابطي جهة الشمال، وشكلت حينها مدينة متكاملة بقصورها الـ12 ومسجدها الجامع ومدارس الأمراء والاصطبلات. وقد أشارت المصادر التاريخية الى أن قصور الخلافة الموحدية كانت تسمى دورا (دار البلور، دار الريحان)، هذه الدور التي سمي إحداها بدار السبع، والتي رجح المؤرخان ارين وغودفري دممبين على أنها حظيرة الأسود.

لكن بن الوزان، أو الليون الإفريقي (1488- 1554) يؤكد بما لا يدع مجالا للشك، وهو يصف قصور يعقوب المنصور الموحدي، إلى أن الزمن الموحدي عرف ما أطلق عليه بن الوزان معرض الحيوانات. يقول بن الوزان: "وكان بالقرب من البستان معرض وحوش يحتوي على عدد من الحيوانات الوحشية كالزرافات والفيلة والأسود والأيول المختلفة، إلا أن معرض الأسود مفصول عن معرض الحيوانات الأخرى ويسمى حتى اليوم معرض الأسود ".

هذا التقليد، أي وجود حديقة للسباع داخل القصر السلطاني، سيستمر إلى الزمن العلوي المتأخر. فإذا كان الزمن العلوي الأول، أي زمن السلطان المولى إسماعيل، سيشهد وجود حديقة للسباع داخل القصر السلطاني بمكناس، فإن قصر دار السلام بالربط سيعرف بدوره وجود حديقة للحيوانات تشتمل على مجموعة من الأسود المغربية، وهي الأسود التي ستقدم الى الحديقة الوطنية للحيوانات عند إنشائها.

وإذا عدنا إلى الزمن العلوي الأول للتدليل على وجود حديقة للأسود داخل رحاب القصر السلطاني، فإننا سنقف على رواية أوردها الأسير "مويط" زمن السلطان المولى إسماعيل، عن حديقة تقع بين أربعة أسوار عالية، كشبه فناء، محاذية لأسوار القصر ولا يفصلها عن السجن الذي كان يسجن فيه الأسرى إلا جدار مشترك عرضه ثلاثة أشبار ، وهو السور الذي يقول الأسير "مويط" على أن الأسود قد نبشته وكادت ان تدخل إلى السجن .

صيد الأسود هواية المغاربة

شكلت رحلات صيد الأسود إحدى العلامات البارزة والمميزة لحياة المغاربة في علاقتهم بمجالهم الطبيعي، وإن كان ينظر إليها اليوم على أنها تعد على الحياة البرية، فإنها كانت في السابق، ولاعتبارات مرتبطة بوفرة الوحيش، إحدى الهوايات التي مورست، ليس من طرف العامة بل من طرف الملوك كذل. فبالإضافة إلى الصيد بالصقور والكلاب، والذي أرّخت له المصادر التاريخية، فإن صيد الأسود لم يحظ بالكثير من الاهتمام من قبل الباحثين في هذا المجال، رغم أنه يمكن اعتبار خروج سلاطين المغرب لصيد الأسود إحدى العلامات الفارقة لحياة الملوك ليس في العالم العربي بل في العالم كذلك.

هذا التقليد الذي يمكن أن نقدم مثالا عنه، بما أرّخه عبد الله المنان، وهو شاعر بني مرين، في قصيدة طويلة يصف فيها رحلة السلطان المريني أبو عنان لاصطياد الأسود، وكيفية الصيد الذي تختلف طرقه ما بين قتل الأسد في مكان اصطياده، وما بين حمله إلى القصر السلطاني حيا، حيث تنظيم مباراة للقتال بين الأسد والثور، كما تنظم مباريات لقتل الأسود على يد رجال أبطال.

أحد الأسرى المسيحيين زمن السلطان المولى إسماعيل وهو الأسير "مويط"، يقدم لنا وصفا دقيقا لكيفية صيد المغاربة للأسد، حيث يقول: "يحضرون مطمورة عميقة ويضعون على قمتها فخا مربوطا في محور يبقى دائما متأرجحا، ويضعون على ذلك المحور كبشا ميتا، فإذا نزل الأسد من الجبل وشم

رائحة اللحم اقترب منه ليأكل، لكن عندما يضع رجليه الأماميتين على الفخ ينقلب في المطمورة على رأسه، ويوجد بجانب تلك المطمورة مطمورة أخرى مهيأة كخندق فيها صندوق كبير مصنوع على شكل مصيدة وضع في داخله قطعة لحم الضأن، وبما أن هناك اتصال بين المطمورتين بواسطة ثقب أعد عمدا، فإنه يوضع طرف ذلك الصندوق الذي يبقى مفتوحا دائما أمام تلك الفتحة ، حتى إذا جاع الأسد دخل فيه وسجن مثلما يسجن فأر في مصيدة. وتوجد كذلك حلقات كبيرة من حديد في جوانب الصندوق الأربعة لإمساك الحبال التي يرفع بها إلى الأعلى وتوثيقة بعد ذلك في دابة، وحمله إلى أول قائد ليتسلى بمشاهدة قتله، وإن أرادوا قتله طعنوه بالرماح في المطمورة التي سقط فيها.

هدية السلاطين للملوك

يعتبر تبادل الهدايا بين الرؤساء والملوك من التقاليد الدبلوماسية المتعارف عليها منذ القدم، وتحمل الهدية العديد من الرموز، فهي تعبير عن حسن النية وتقدير لأهمية المهدى إليه ومكانته، كما تحمل الهدية دلالات تاريخية حضارية وثقافية.

وقد شكل إهداء الأسود والخيول وسروجها وغيرها من الهدايا التي تعبر عن حضارة المغرب، إحدى العلامات البارزة في علاقة المغرب مع دول العالم منذ القدم. فإذا كان المغرب من الدول العريقة التي نسجت علاقات دبلوماسية مع الكثير من دول العالم، فإن ما ميز الهدايا التي كان يقدمها سلاطين المغرب وملوكه إلى ملوك الدول التي كان يقيم معها علاقات دبلوماسية من خلال السفارات التي كان يرسلها، وذلك قبل اتفاقية فيينا التي وضعت أسس التمثيل الدبلوماسي الدائم، هو طبيعة الهدايا التي كان يختارها الملوك المغاربة لكي يتم إرسالها رفقة سفرائهم، وهذه الهدايا كان يتم انتقاؤها بعناية، وعلى رأسها، إضافة الى المشغولات اليدوية التقليدية التي تميز المغرب، الخيول العتاق كما كانت توصف في المراجع التاريخية، و... الأسود.

ففي رحلة السفير المغربي، الحاج عبد القادر أشعشاع، سفير السلطان المولى عبدالرحمان بن هشام إلى البلاط الفرنسي (1845-1846)، والتي وثقها عضو البعثة محمد السفار التطواني، حيث قدم لنا السفار وصفا دقيقا للهدايا التي قدمت للملك الفرنسي، حيث وصفها الصفار بالهدايا الأروع والأجمل، في إشارة ذات دلالة إلى أن الكثير من الشخصيات الفرنسية الأخرى حصلت على هدايا سلطانية، لكنها لم تكن هدايا في قيمة وجمال الهدايا التي قدمت للملك الفرنسي.

يقول أشعشاع: "فقد سلم إليه أشعشاع قبل مغادرته باريز وفي أثناء حفل الاستقبال بقصر التويلوري، ستة خيول عربية، بالإضافة إلى مجموعة من الحيوانات المتوحشة. وكانت تلك الحيوانات الموجهة الى حديقة النباتات، عبارة عن أسد ونعامتين وثلاثة غزلان بالإضافة إلى صنف من الماعز البري غير المعروف في أوربا."

وقد وجدت الصحافة، يضيف أشعشاع، صعوبة في التعبير عن تقديرها لقيمة تلك الهدايا في نمطها العربي، فجاء في تعليق كتبته جريدة الـ"ألوستراسيون" أنه قد "كان السلاطين المغاربة يحملون معهم الماس والعطور هدايا، فإذا بأبناء الصحراء يهدوننا الأسود والغزلان".

الحملة المهيدية

حمزة الأتفاسي

أطلق والي جهة الدار البيضاء سطات محمد امهيدية -الذي عين في منصبه حديثا قادما من جهة طنجة تطوان الحسيمة- حملة لتحرير الملك العمومي في مناطق مختلفة من مدينة الدار البيضاء. هذه الحملة عرفت تحرير شوارع لا أتذكر شخصيا يوما ما كانت فيه خالية من العربات أو الباعة المتجولين، الشيء الذي خلف ردود فعل متباينة في المدينة.

لكن، عند حديثي مع العديد من سكان البيضاء من مشارب وطبقات مختلفة، اتحدوا في تشكيكهم في استدامة هذه "الحملة"، خصوصا مع ما تحمله هذه الكلمة من إيحاءات بالنسبة للبيضاويين، وأعني هنا أن كثيرا من المواطنين يفهمون منها أنها موسمية وغير دائمة.

من حق البيضاويين أن يكونوا مشككين في مثل هاته الديناميات، سيما أن لديهم أمثلة سابقة لمسؤولين جاءوا من أجل تحرير الدار البيضاء، لكن سرعان ما رضخوا لتناقضاتها وضغوطاتها.

مبدئيا، أعتبر أن الملك العمومي هو كذلك: ملك لعموم المواطنين، من شوارع وأرصفة وممرات خاصة بالمواطنين قاطبة، ولا يحق لشخص أو هيئة أن تتصرف فيه دون إذن سابق من ممثلي الدولة والمواطنين. وشخصيا لا يمكن إلا أن أشجع مثل هذه المبادرات -إن حق فعلا استدامتها. لكن الهدف وإن كان نبيلا، لا يعني بالضرورة أن أجرأته ستكون كذلك.

فالطريقة التي تم بها تفعيل هذه القرارات تنم عن سلطوية متجذرة في طريقة تعامل رجال السلطة مع قضايا تهم الفضاء العام. كان على السلطة أن تعلم محتلي الملك العمومي بفترة كي يتدبروا أمور انتقالهم إلى مكان آخر في حالة الباعة المتجولين، أو هدم ما أضافوا إلى محلاتهم. وفي حالة أصحاب المحلات، يمكن تغريمهم سومة التهديم إذا ما لم يقوموا بذلك بأنفسهم.

أما القضية الأعمق فهي مصير آلاف الباعة المتجولين الذين تم حرمانهم من مصدر دخلهم الوحيد. يبدو من خلال سلوكات عديدة للدولة أنها تترك ظواهر سلبية عديدة حتى تنتج دورة اقتصادية كاملة، ثم تأتي بين عشية وضحاها لتمنع بشكل سلطوي ذلك السلوك دون تقديم أي بديل. رأينا ذلك في قضية غلق معبر سبتة الذي كان يدعم آلاف العائلات ماديا، وها نحن نراه مرة أخرى هنا في حالة تحرير الفضاء العمومي في مدينة الدار البيضاء.

كان من الأجدر التفكير في حلول إبداعية تقطع الطريق أمام سخط الآلاف من العائلات التي تعيلها تلك العربات المتجولة عبر الدار البيضاء، والتي صارت بغتة عرضة لانقطاع مصدر رزقها الوحيد.

كان من الممكن تخصيص ساحات معينة للباعة المتجولين وسن نفس المنهج الذي نهجته الدولة لدفعهم إلى التوقف النهائي من أجل نقلهم إلى الفضاءات المخصصة (أي استعمال القوة العمومية لا من أجل منعهم بل لنقلهم إلى فضاء أكثر أمانا للجميع).

> **كان من الممكن أيضا، تخصيص أزقة خاصة تتوقف فيها حركة مرور السيارات ويتم استغلالها من طرف الباعة المتجولين**

كان من الممكن أيضا، تخصيص أزقة خاصة تتوقف فيها حركة مرور السيارات ويتم استغلالها من طرف الباعة المتجولين. ويمكن للسلطة فرض رسم رمزي يومي أو أسبوعي على هؤلاء الباعة، يتم من خلاله تأدية واجبات تنظيف المكان نهاية كل يوم. وبذلك يتم خلق فرص شغل وإن كانت صغيرة، وفي نفس الوقت يبقى لهؤلاء الباعة المجال من أجل كسب رزقهم ولسكان ذلك الحي فرصة اقتناء مواد طرية وقريبة منهم. هذه التجربة متوفرة في عدة دول تشجع هذه النوع من الأسواق، وتكون إما دائمة أو مرخصا لها لأوقات محددة كل أسبوع.

أخيرا، كثير من المبادرات التي انطلقت فيها الدولة تكون في عمقها نبيلة واستراتيجيا مفيدة للبلد، لكن ينقصها إشراك حقيقي لكل المتدخلين، الذين لا يمكن لحضورهم في طاولة القرار إلا أن يغني أي مبادرة، ويجعلها متجاوبة مع انتظارات المواطنين وكفيلة بانخراطهم الإيجابي الكامل.

امسح للاستماع
للبودكاست

التعليم.. خيبتنا الكبرى

مراد بن احمد

تأكد اليوم بالملموس أن المدرسة العمومية لا بواكي لها، فبعد قرابة ثلاثة أشهر من تعثر الموسم الدراسي الحالي، يبدو أن الأمر لا يمثل قلقا اجتماعيا جديا، ليس لأن الوضع ليس كارثيا، بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ولكن لأن التركيبة الاجتماعية التي تطغى على المدرسة العمومية في الغالب اليوم وخاصة في المدن الكبرى والصغرى والمراكز شبه الحضرية، تتسم بكونها توجد على هامش الدورة الاقتصادية وغالبا ما تتكون من العاملين في القطاع غير المهيكل أو المهن البسيطة لكن السمة الغالبة هي الهشاشة والفقر، مع استثناءات لا تغير هذه الحقيقة، بينما تحضر النخبة وجزء واسع من الطبقة الوسطى في مدارس القطاع الخاص، لذلك فإن مدى ما تعرفه المدرسة العمومية اليوم يقتصر على أخبار معارك جزء من الطبقة الوسطى، بينما مخاطر ضياع سنة دراسية على ملايين التلاميذ والأسر، إنما يحضر كخبر ثانوي...

> **هكذا يتم دفع المدرسة المغربية نحو العزلة المطلقة عن العالم، والأمر هنا لا يهم تلاميذ التعليم العمومي**

قبل فترة قادني واجبي كأب رفقة زوجتي لحضور اجتماع لآباء وأمهات وأولياء تلاميذ مدرسة خاصة حيث يدرس أبنائي، فأنا كغيري من عدد من المغاربة، فقدنا الأمل في المدرسة العمومية، أو على الأقل لم نستطع تربية الأمل وتربية أبنائنا معا، لذلك كنا مضطرين أن نقتطع مبالغ محترمة من أجورنا، لضمان مستوى تربوي وعلمي مقبول لأبنائنا، يمكنهم من مواجهة التحديات التي يفرضها المستقبل، على أن لا يعني ذلك الاستقالة من واجب الدفاع عن المدرسة العمومية.

كنا جميعا في الموعد إلا حالات نادرة منعتها ظروف عملها، كان اللقاء فرصة لأستمع لنقاش من القلب دون مساحيق ولا بلاغة لغوية، من مثل ما استمعت إليه خلال سنوات طويلة في ذات الموضوع، هناك كان الجميع يتحدثون بحرقة.. بصدق وبحزن أيضا، جلهم اعترفوا أنهم يحملون أطفالهم للقطاع الخاص؛ ليس حبا فيه ولا بحثا عن مكانة اجتماعية متوهمة، إنما يفعلون ذلك مضطرين، أحدهم تحدث عن أحد أصدقائه ممن لم يسعفه أجره الشهري في تسجيل أطفاله في مدرسة خاصة، قال أنه أسر له ذات صباح، أنه كلما رافق أطفاله إلى المدرسة العمومية التي توجد بالحي الذي يقطنه، شعر وكأنه يحملهم إلى "الخيرية"...

هكذا مع الأسف أضحى التعليم العمومي ببلادنا أشبه بجثة متعفنة، ذهبت روحها وتصر أن تحمل معها أرواح أجيال المستقبل، لا الأموال نفعت، ولا القرارات السياسية نجحت، ولا البيروقراطية فعلت ما عجز عنه الجميع، وعندما نعلم أن بدايات تقدم وتحضر الأمم مرت وتمر وجوبا من إصلاح التعليم، فإننا نخلص إلى أننا نمضي إلى مستقبل غامض ورمادي...

هكذا يتم دفع المدرسة المغربية نحو العزلة المطلقة عن العالم، والأمر هنا لا يهم تلاميذ التعليم العمومي، بل كذلك جزء غير يسير من تلاميذ القطاع الخاص، ببساطة لأن المناهج المتخلفة للقطاع العمومي تلاحق الجميع، باستثناء تلاميذ البعثات الأجنبية..

ففي زمن الثورة الصناعية الرابعة والذكاء الاصطناعي والربوتات والثورة البيولوجية والنانوتكنولوجي، لازال أبناءنا يدرسون، كما درس أباءهم بل وأجدادهم أيضا، ساعات تدريس طويلة، مناهج يطغى عليها الحفظ والاستظهار، بالإضافة إلى الكم الذي يجعل وزن المحفظة أثقل من وزن التلميذ، والنتيجة أننا نبني أجيالا منفصلة تماما عن تطور التاريخ واتجاهات المعرفة المعاصرة، فقريبا سيعاد تعريف الأمية، فإذا كانت الأمية حسب الأمم المتحدة هي الجهل بالكتابة والقراءة بأي لغة، وإذا كان تعريف آخر يضم إلى التعريف السابق جهل استعمال الحاسوب، فإن الأمية في السنوات القليلة القادمة، ستعني الجهل بلغة على الأقل من لغات البرمجة الإلكترونية.. هكذا بكل بساطة.!

نتيجة هذا الوضع الكارثي هي أننا نعد أطفالنا لمهن، ونحملهم على الحلم بها، في حين أنها ستكون قد انقرضت من سوق العمل، أو على أقل تقدير ستكون مهنا هامشية.. انتهى اجتماع المدرسة، وتأكدت قناعتي أننا نملك أسرا تقاوم لكي يكون أطفالها أحسن حالا، ومهما صرفت الدولة من أموال عمومية، فإن التعليم يظل خيبتنا الكبرى والإضرابات المتتالية، مهما كانت مبرراتها، تؤكد ذلك!

امسح للاستماع
للبودكاست

أوقفت قطار التطبيع وأنعشت الشارع وكشفت النفاق الحقوقي

غزة تعيد تشكيل العالم

إسماعيل حمودي

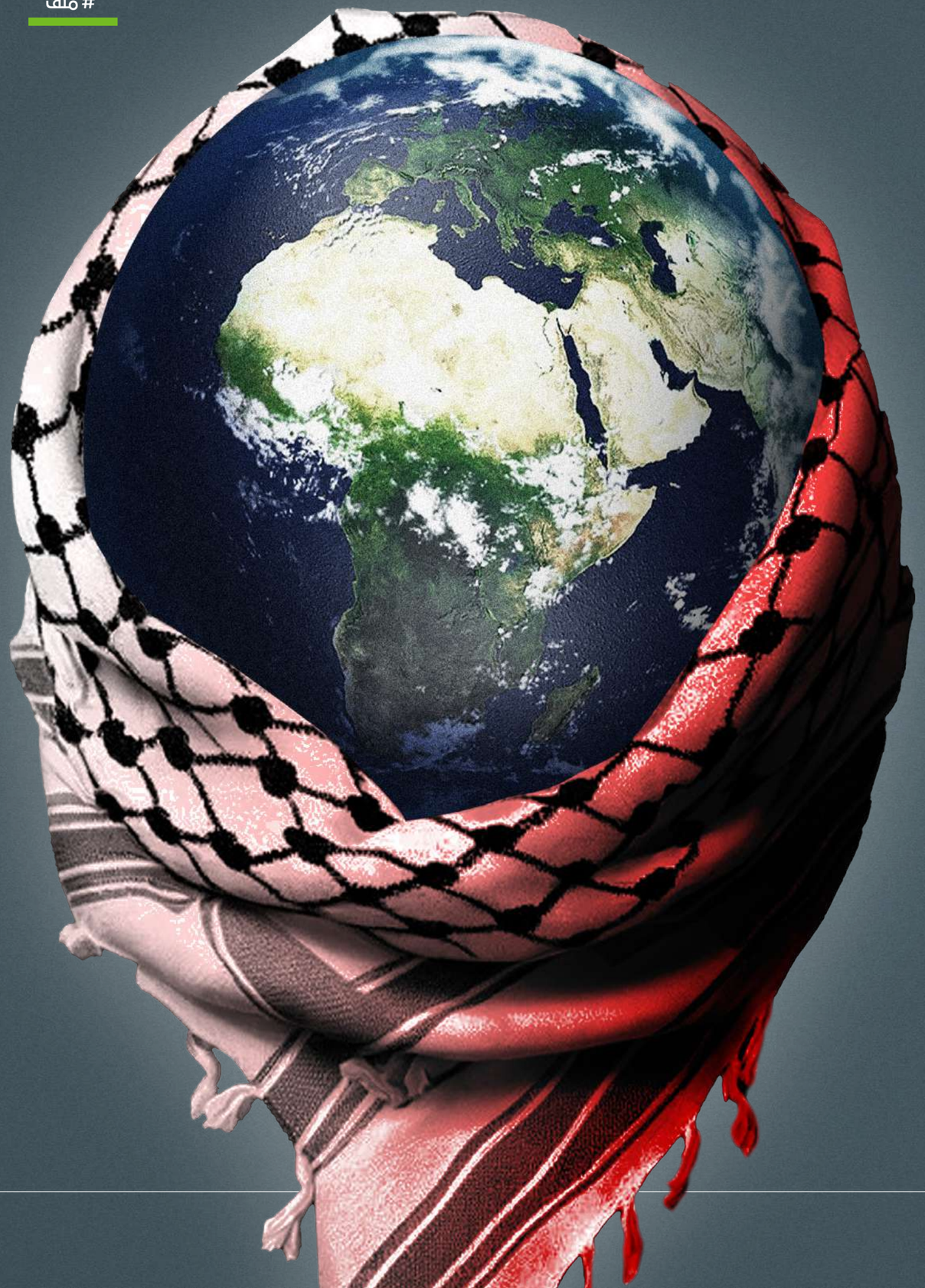

رغم أن عملية طوفان الأقصى، تسببت في دمار هائل لغزة، إلا أنها استطاعت كسر الهندسة الجيو-ستراتيجية للشرق الأوسط، التي كانت ترسمها أمريكا وإسرائيل وبعض دول المنطقة، وأعادت القضية الفلسطينية إلى مركز الأحداث السياسية في المنطقة والعالم، وإلى الأجندة السياسية لدول المنطقة والعالم وللمنظمات الأممية، ومن شأن ذلك أن يفسح أفقا سياسيا جديدا أمام القوى الإسلامية للتموقع من جديد،دون أن يعني ذلك أن القوى الأساسية في المنطقة، بتحالف مع القوى الكبرى في أوربا وأمريكا، سوف تتخلى عن الاستراتيجيات التي رسمتها قبل السابع من أكتوبر.

أما انحياز أغلب الحكومات الغربية لإسرائيل، وتبنيها للمعايير المزدوجة في التعاطي مع حقوق الشعب الفلسطيني، فإن العدوان على غزة قد تكون له تداعيات جوهرية على حقوق الإنسان، منها إمكانية تشكيل نسيج جديد من التحالفات بين القوى المدنية والحقوقية عبر مختلف دول العالم، بأجندات مدنية وحقوقية تأخذ المسافة اللازمة عن استراتيجيات الحكومات وحساباتها.

وفي انتظار أن تتضح الرؤية أكثر، سيظل قرار الدول التي انخرطت في اتفاقيات التطبيع معلقا، وبدون فاعلية مهمة، إلى أن يهدأ العدوان الإسرائيلي على غزة، وستظل غزة محورا للمخاض الذي يعيشه العالمويعيد تشكيله.

وجهت عملية "طوفان الأقصى" ضربة قوية للزخم الذي اكتسبته اتفاقيات التطبيع بين بعض الدول العربية وإسرائيل خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وخصوصا للمساعي التي كانت تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية لإبرام اتفاق تطبيع كان متوقعا بين إسرائيل والسعودية، بحيث أعادت العملية الهجومية التركيز على القضية الفلسطينية.

وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن، أثار هذه النقطة بالذات في الأيام الأولى للحرب على غزة، حيث اعتبر أن الهجوم الذي نفذته المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل كان الهدف منه "عرقلة التطبيع المحتمل للعلاقات بين إسرائيل والسعودية". وهي القراءة التي تنتهي إلى نتيجة واحدة في النهاية، وهي أن طوفان الأقصى من تخطيط إيران، وتنفيذ حماس، بهدف منع تحالف محتمل بين أمريكا والسعودية وإسرائيل في المنطقة، وتجميد باقي اتفاقيات التطبيع بين إسرائيل والدول العربية، وتخفيف الضغط الغربي على روسيا في حربها المتواصلة ضد أوكرانيا، كما ذهب إلى ذلك توماس فريدمان.

بالمقابل، ركزت قراءة مضادة على القول بأن عملية طوفان الأقصى كانت هجوما استباقيا ضد هجمة إسرائيلية وشيكة، اعتاد الاحتلال الإسرائيلي القيام بها من حين لآخر ضد غزة، كما أتت في سياق الرد على الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية التي لم تنقطع، بل ازدادت شراسة وعدوانية على بلدات ومخيمات ومدن فلسطينية في الضفة الغربية والقدس طيلة العام الماضي، تحت رعاية وبدعم من حكومة تعد الأكثر تطرفا في إسرائيل، وبالتالي فإن العملية كانت بمثابة انفجار فلسطيني في وجه العربدة الصهيونية، أو بعبارة القيادي الفلسطيني، موسى أبو مرزوق، هي تعبير عن "شعور عميق بالإحباط"، وانسداد الأفق السياسي، خصوصا بعد انخراط دول عربية في صفقة القرن الأمريكية، وقبولها التطبيع مع إسرائيل، وإصرار هذه الأخيرة على تصفية حل الدولتين.

وبين القراءتين يمكن مناقشة مدى تأثير عملية طوفان الأقصى على اتفاقيات التطبيع الجارية بين بعض الدول العربية وإسرائيل برعاية أمريكية، مع التركيز على الحالة المغربية، انطلاقا من التساؤل التالي: هل تفضي عملية "طوفان الأقصى" إلى تجميد اتفاقيات التطبيع مؤقتا فقط أم يمكن أن تفرز مسار جديدا يجعل من تسوية القضية الفلسطينية مدخلا للتطبيع وليس العكس؟

ضربة جيوستراتيجية

بالنظر إلى السياق العام، يمكن القول إن عملية "طوفان الأقصى" قد خلطت كل الحسابات والأوراق. كونها عملية مباغتة، جرت من لدن المقاومة الفلسطينية أساسا، وفي داخل الأراضي التي تحتلها إسرائيل، محطمة القواعد العسكرية وكل الاستراتيجية الأمنية للجيش "الذي لا يقهر". كما أفرغت العملية عشرات المستوطنات من ساكنيها، ومن تم فقد ألحقت أضرارا جسيمة بصورة إسرائيل "القوية"، وبهيبة ومعنويات جيشها، كما أطاحت بأجهزتها الاستخباراتية، العسكرية منها والمدنية.

في المقابل، ظهرت فصائل المقاومة في مستوى قوة عسكرية لا يُستهان بها، خصوصا من حيث القدرة على التخطيط والتنفيذ، ومن حيث مستوى التدريب والتسليح، وهي القدرات التي ارتقت بها إلى مستوى القيام بعملية هجومية يمكن أن تشكل مرحلة جديدة في مسار حركة التحرر الفلسطينية.

في ضوء ذلك، تعد عملية "طوفان الأقصى" ضربة جيوستراتيجية، كونها أعادت القضية الفلسطينية إلى مركز الأحداث في الأجندات الإقليمية والدولية، بعدما اعتقد البعض أنه بالإمكان القفز فوقها، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية خططت عمليا من أجل تصفيتها نهائيا في إطار ما سمي بـ"صفقة القرن"، التي كانت قيد التنفيذ من خلال عدة آليات؛ أبرزها "الاتفاقات الإبراهيمية"، وآخرها مشروع "الممر الاقتصادي" بين الهند والخليج وإسرائيل نحو أوربا، والذي يبدو فيه حضور القضية الفلسطينية ثانويا بل منعدما. علما أنه في 2019، حينما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن مشروع صفقة القرن، جرى الترويج لعدة مشاريع اقتصادية كبرى على البحر الأحمر، بالموازاة مع إثارة الحديث عن توطين جديد للفلسطينيين في دول عربية منها مصر والأردن.

وعليه، يمكن القول إن عملية طوفان الأقصى حطمت مشروعا أمريكيا ضخما ومتعدد الأبعاد، يرتكز أمنيا وعسكريا على التكامل الأمني بين العرب وإسرائيل في إطار القيادة العسكرية الوسطى (CENTCOM)، ويدمج المنطقة ككل في بناء اقتصادي مترابط يمتد من الهند

متظاهرون مغاربة يحتجون ضد "صفقة القرن"

عبر الخليج وإسرائيل نحو أوربا، لمحاصرة مشروع الحزام والطريق الذي يسمح للصين بالتغلغل في منطقة الشرق الأوسط وتمتين الروابط المالية مع حلفاء أمريكا في المنطقة.

بمعنى آخر، أعادت عملية "طوفان الأقصى" القضية الفلسطينية إلى مركز الأجندات، كما لو أنها صرخة فلسطينية مدوية ضد أي هندسة جيوستراتيجية للشرق الأوسط لا تأخذ في الحسبان حقوق الشعب الفلسطيني المحتل، وأولوية تسوية قضيته التي تظل مفتاح السلم والحرب في المنطقة.

الملاحظ أن مواقف الدول تعكس الأبعاد المشار إليها من وراء عملية "طوفان الأقصى"، على سبيل المثال يعكس رد الفعل الأمريكي المنحاز كليا لإسرائيل مدى الصدمة من عملية طوفان الأقصى ونتائجها، كونها "حطمت الحلم الأمريكي بالتكامل الأمني بين العرب وإسرائيل"، كما استنتج ذلك جو بوتشينو، المتحدث السابق باسم القيادة المركزية العسكرية.

في المقابل، عبرت الصين، لأول مرة، عن مواقف غير مسبوقة تجاوزت مستوى الحياد، الذي ميّز سياسة بكين على مدار عقود طويلة، نحو تبني موقف قوي ضد العدوان الإسرائيلي على غزة، بحيث اعتبر وزير الخارجية الصيني أن الهجوم على غزة تجاوز الدفاع عن النفس إلى العقاب الجماعي، وأن بلاده تعارض وتدين جميع تلك الأعمال المنافية للقانون الدولي، وهي مواقف تطورت مع استمرار العدوان خصوصا في ردهات مجلس الأمن.

يمكن أيضا المقارنة بين الموقف الروسي والموقف الهندي، فإذا كان الرئيس الروسي بوتين قد شبه حصار إسرائيل لقطاع غزة بحصار ألمانيا النازية لمدينة لينيغراد خلال الحرب العالمية الثانية، علما أن روسيا تبدو من بين المستفيدين من عملية "طوفان الأقصى" كونها

محتجون مغاربة يقومون بإحراق العلم الإسرائيلي خلال مسيرة أعقبت عملية "طوفان الأقصى"

تشتت الانتباه عما يجري في أوكرانيا، اختارت الهند التنديد بعملية طوفان الأقصى وبحركات المقاومة في غزة، والتعبير عن انحيازها لإسرائيل، وهو موقف يؤكد انحراف الهند عن سياسة الحياد بدعم إسرائيل التي باتت تربطها بها مشاريع استراتيجية منها مشروع "الربط الاقتصادي" في إطار الهندسة الأمريكية للمنطقة.

خلط أوراق المطبعين

ينسحب التحليل أعلاه على مواقف الدول الرئيسية في الشرق الأوسط، غير أنه يمكن التمييز في هذا الصدد بين موقفين عريضين: الأول، عبرت عنه الدول التي انخرطت في اتفاقيات التطبيع، والتي اختارت منذ بداية العدوان أن تمسك العصا من الوسط، وأن تساوي بين الاحتلال والمحتل، من خلال الحديث عن "العنف والعنف المضاد"، أو "تصاعد العنف بين الإسرائيليين وحماس"، وهو الموقف الذي عبّرت عنه وسائل إعلام مقربة من بعض تلك الدول بعبارات مستفزة حين رأت في طوفان الأقصى "انقلابا" على "اتفاقات أبراهام"، ورفع آخرون شعار "كلنا إسرائيليون". وهي مواقف ظلت سجينة للرؤية الصهيونية والأمريكية، التي اعتبرت أن "طوفان الأقصى" من تخطيط إيراني وتنفيذ حركة حماس للانقلاب على اتفاقيات أبراهام، لكن مع تطور الأحداث، عدلت هذه الدول من موقفها نحو التركيز على عدوانية الاحتلال الإسرائيلي.

الموقف الثاني تعامل مع عملية طوفان الأقصى كفرصة، لكن وفق استراتيجيات متباينة ومختلفة. فالموقف الإيراني مختلف جذريا عن الموقف السعودي مثلا. تقود إيران جهودا دبلوماسية لإسقاط مشروع صفقة القرن ككل، والتموقع من جديد في المنطقة مع تعزيز موقعها التفاوضي إزاء أمريكا، أما الموقف السعودي فقد كان حذرا، إذ عبّرت عن إدانة الاحتلال الإسرائيلي، وإعلان تجميد المفاوضات حول التطبيع، ولجأت إلى تنسيق المواقف الإقليمية والدولية، مثل موقفها المشترك مع الصين، بأن إسرائيل تمارس العقاب الجماعي ضد الفلسطينيين في غزة.

لقد جاء الموقف السعودي على غير المتوقع، لأنه طالما عملت الرياض على بناء هيكل أمني لاستثمارات ضخمة في إطار "رؤية 2030"، تعززت بمشروع "الربط الاقتصادي" بين الهند والخليج وإسرائيل وأوربا، جعلت ولي العهد محمد سلمان يتحدث عن "أوربا جديدة" في الشرق

يتبع...

الأوسط، تقودها السعودية التي وافقت على التفاوض من أجل التطبيع والاعتراف بإسرائيل مقابل شروط منها أن تصبح قوة نووية، وتوقيع معاهدة دفاع مشترك مع أمريكا، وتسوية القضية الفلسطينية على أساس حل الدولتين.

من بين دلالات الموقف السعودي أن الرياض معنية بتسوية القضية الفلسطينية، بمعنى آخر، أنها تربط قبولها بالتطبيع مع إسرائيل بتسوية القضية الفلسطينية، على خلاف النهج الذي سارت فيه الإمارات، التي أعطت الأسبقية للتطبيع مع إسرائيل على تسوية قضية فلسطين.

التوجه السعودي تجلى في عدة خطوات؛ منها المصالحة مع قطر وتركيا، ثم المصالحة مع إيران، والتنسيق مع روسيا داخل أوبك+، وأخيرا التنسيق مع الصين للضغط على إسرائيل.

خطوات أزعجت الأمريكيين والإسرائيليين على السواء، وقد تزعجهم أكثر بعد أن توجت السعودية ذلك المسار بتعليق مفاوضات التطبيع، وإدانة الاحتلال الإسرائيلي، ورفض قرار التهجير القسري للفلسطينيين خارج قطاع غزة، ملتحمة في ذلك بمواقف مصر التي تبدو الخاسر الأكبر من مشروع الربط الاقتصادي.

وعليه، يمكن القول إن عملية طوفان الأقصى بقدر ما خلطت أوراق الدول المطبعة، أي الإمارات والبحرين والمغرب، شكلت فرصة لدول إقليمية أخرى في الشرق الأوسط، حيث ستعمل إيران على إعادة تأهيل ميليشياتها، وتحسين موقعها التفاوضي مع دول المنطقة ومع القوى الغربية، أما السعودية ومصر فقد شكلت العملية الهجومية بالنسبة لهما فرصة من أجل التقاط الأنفاس، وتقوية موقعهما ورؤيتهما على طاولة التفاوض مع الأمريكيين على وجه الخصوص في المرحلة المقبلة، فالحرب في النهاية وسيلة أخرى للسياسة، الهدف منها التفاوض من موقع أفضل، ويمكن القول بأن ذلك قد تحقق لكل دول المنطقة مهما كانت نتائج العدوان على غزة، الذي قتل عشرات الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني، وحطم ودمّر كل مقومات الحياة المدنية في القطاع، فهل تدفع تلك القوى مجتمعة نحو تجميد وحتى تعديل اتفاقيات التطبيع فقط أم تعمل على إسقاط مشاريع صفقة القرن؟

تجميد التطبيع أم إسقاط صفقة القرن

يفترض هذا التحليل أن عملية طوفان الأقصى ضربة استراتيجية كبرى، تشكل فرصة للقوى الدولية والإقليمية للقيام بحسابات جديدة، وتعكس المواقف المختلفة من العدوان على غزة هذا المسعى.

تتجه الصين لكي تنخرط أكثر في أزمات المنطقة، وقد عبرت عن رغبتها في القيام بدور محوري للتوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار وبحث سبل تسوية القضية الفلسطينية، وهو موقف سيعزز دور إيران وحركات التحرر الفلسطيني، كما أنه يعزز الموقع التفاوضي للدول العربية الأخرى مثل السعودية ومصر.

غاية الصين المباشرة من وراء ذلك كسر صفقة القرن ومشروع الربط الاقتصادي بين الهند والخليج وإسرائيل وأوربا، التي أسندت قيادته للسعودية لكن قد تستفيد منه إسرائيل أكثر، بينما ستكون مصر وفلسطين الخاسر الأكبر. وستبذل أمريكا وإسرائيل جهودا كبيرة لكي تحافظ على مشروع صفقة القرن، وستضغطان من أجل ذلك بجميع الوسائل، بما في ذلك التهديد ورفض وقف إطلاق النار، للضغط أكثر على مصر والأردن.

الأرجح أن تمسك السعودية ومصر العصا من الوسط، بحيث تستعين بالضغوط الصينية والروسية والإيرانية، من أجل تعظيم مكاسبها إزاء الأمريكيين، وخصوصا نزع التزام واضح بخصوص الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وتعزيز موقع القيادة الإقليمية للسعودية ومصر في منطقة الشرق الأوسط.

بالمقابل، ستعمل إيران من أجل إسقاط صفقة القرن، ما دامت تهدف إلى احتواء وتقويض نفوذها في الإقليم. وقد تضغط تركيا من جهتها في نفس الاتجاه، لكن وفق حسابات تتضمن الحصول على مكاسب أكبر في العراق وسوريا وشرق المتوسط.

وأمام تناقض المصالح، خصوصا بين حلفاء أمريكا، قد تقبل تجميد اتفاقيات التطبيع ومن خلالها مشروع صفقة القرن، وهو ما نصح به رويل مارك، ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية سابقا وباحث في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات، في مقالة نشرتها "وول ستريت جورنال"، تلك الدول في قوله: "يمكن للحكام العرب أصدقاء إسرائيل أن يقوموا بتراجعات تكتيكية". لكن في جميع الأحوال، لا يبدو أن السعودية ستقبل بالعودة إلى محادثات التطبيع دون تغييرات جوهرية في الخطة الأمريكية، وعلى رأسها الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة، وهو المطلب الذي استعاد حيويته بعد طوفان الأقصى، ويصعب تجاهله مرة أخرى، لكنه الشرط الذي يُستبعد أن تقبل به حكومة إسرائيل الحالية، وهو الوضع الذي سيفرض على أمريكا الاختيار: إما استمرار العدوان واتساع نطاق المقاومة ما يهدد مستقبل السلطة الفلسطينية، أو تغيير حكومة نتنياهو بحثا عن تسوية للقضية وهو الأقرب، أو تجميد الوضع مؤقتا في انتظار أن تنضج شروط جديدة.

متظاهرون مغاربة يجسدون مشهدا يرمز لاعتداءات الإسرائيليين على القدس الشريف

هل تعيد غزة الإسلاميين إلى الواجهة؟

بينما تواصل إسرائيل عدوانها على غزة والشعب الفلسطيني، تزداد وتتسع التظاهرات الشعبية سواء في العالم العربي أو في أوربا والعالم، ضد الحرب وعمليات التدمير والتخريب التي أزهقت حياة نحو 12 ألف شخص، الثلثان منهم من الأطفال والنساء والشيوخ، وأعطبت ما يزيد على 40 ألف شخص من الجرحى، علاوة على التهجير القسري لمئات الآلاف.

تختلف التظاهرات، من حيث الحجم والوتيرة، من بلد عربي إلى آخر، وبين العالم العربي ومناطق أخرى عبر العالم. قد تكون بعض الأنظمة رخصت بالتظاهر قصد التنفيس عن الغضب الشعبي، كما ذهبت إلى ذلك "مجموعة الأزمات الدولية"، إلا أن قراءة أخرى رأت فيها فرصة للأحزاب والحركات الإسلامية من أجل العودة إلى الشارع، بعد سنوات من التحييد العنيف.

والراجح أن بعض الحكومات تخشى من أن يسفر العدوان على غزة عن تغيير في ميزان القوى السياسي، كما تدل على ذلك مواقفها السياسية الباردة اتجاه العدوان الإسرائيلي الممنهج على غزة، وكذا ترخيصها للتظاهرات في بداية العدوان ثم منعها بعد ذلك. خصوصا وأن تلك التظاهرات التي جرى الترخيص بها لأول مرة بعد عقد كامل من المنع التام، كانت الأكبر منذ احتجاجات الربيع العربي سنة 2011، وبرز خلالها الإسلاميون كقوة أساسية لا زالت تملك القدرة على تحريك الشارع، والضغط من خلاله على الأنظمة للتحرك بفعالية ضد إسرائيل. فهل تكون المسيرات والتظاهرات ضد العدوان الإسرائيلي على غزة فرصة لعودة الإسلاميين إلى واجهة المشهد السياسي؟

أولا: أربعة مشاهد

اللافت للانتباه أن العدوان على غزة يتزامن مع حصار وتضييق على القوى الإسلامية، استمر منذ عقد كامل. وقد انعكس كل ذلك على زخم المسيرات والتظاهرات التي خرجت في البلدان العربية، حسب السياسة التي انتهجها هذا البلد أو ذاك إزاء القوى الإسلامية، بحيث يمكن التمييز بين أربعة مشاهد:

المشهد الأول، في البلدان التي همّشت الإسلاميين دون إقصائهم تماما من المشهد السياسي، كما في الأردن والمغرب والكويت. في الحالتين، شكل العدوان على غزة فرصة لهم للعودة إلى المشهد السياسي، عبر تصدر المسيرات والتظاهرات التي خرجت تأييدا للمقاومة الفلسطينية وضد العدوان على الإسرائيلي، ومن تم الضغط على الحكومات من أجل تجميد التطبيع مع إسرائيل أو حتى إلغائه.

في المغرب، شكل مطلب إلغاء التطبيع وغلق مكتب الاتصال الإسرائيلي المطلب الرئيسي للمسيرات والتظاهرات التي خرجت في شتى المدن المغربية، أكبرها تظاهرة يوم الأحد 23 أكتوبر بالرباط، والتي قادتها تنظيمات إسلامية وحقوقية ومدنية أساسا، تختلف

رهاناتها وحساباتها من تنظيم إلى آخر.

أما في الأردن، فقد كان الضغط الشعبي أقوى، لاعتبارات عديدة منها معطى الجوار، ووجود ساكنة ذات أصول فلسطينية. وفي الحالتين كذلك، يلاحظ وجود تفاعل بين الشارع والدولة، بلغت في الأردن إلى إلغاء قرار التوقيع على اتفاقية للماء والكهرباء مع إسرائيل، والتهديد بتجميد اتفاقية السلام بين الطرفين، والتهديد بالحرب في حال أقدمت إسرائيل على تهجير الفلسطينيين من الضفة الغربية نحو الأردن.

وتمثل الكويت حالة لافتة للأنظار في منطقة الخليج، حيث أعلنت جميع القوى السياسية والمدنية، بجميع خلفياتها، الانخراط في التنديد بالعدوان والتضامن مع غزة والشعب الفلسطيني، سواء من خلال مظاهرات ووقفات، أو في التعبير عن التضامن من داخل المؤسسات مثل مجلس الأمة الكويتي، وصولا إلى إنشاء منصات لدعم الشعب الفلسطيني. وقد وجد موقف الشارع الكويتي تجاوبا من قبل مجلس الأمة النيابي، الذي أوصى في جلسة تضامن خاصة لمناقشة "الانتهاكات الصهيونية في غزة" بملاحقة رئيس وقادة الاحتلال الإسرائيلي أمام المحاكم الدولية باعتبارهم مجرمي حرب.

المشهد الثاني تجلى في المظاهرات العارمة التي خرجت في لبنان والعراق أساسا، خصوصا من لدن القوى الإسلامية السنية أو الشيعية.

في لبنان، خرجت تظاهرات ومسيرات قد تكون الأضخم، دعما للمقاومة الفلسطينية وأيضا دعما لمقاتلي حزب الله اللبناني، الذي انخرط في مواجهات ومناوشات مع إسرائيل، دعما لغزة على حد زعمه، تركزت في المناطق اللبنانية التي تحتلها إسرائيل من 1982.

أما في العراق، فقد خرجت مسيرات ضخمة كذلك، تقودها ميليشيات عراقية مسلحة عبّرت عن استعدادها للانخراط في المواجهة مع القواعد الأمريكية في العراق وسوريا، وربما الانضمام إلى جانب حزب الله اللبناني لمواجهة إسرائيل في لبنان. في كلا الحالتين، العراق ولبنان، يبدو أن العامل الطائفي يشكل عنصر تحشيد وتعبئة، علما أن الميليشيات التي خرجت للتظاهر أو انخرطت في مواجهات مسلحة في البلدان معا، أغلبها محسوب على إيران، ويتصرف في حدود الاستراتيجية التي رسمتها إيران لنفسها في الإقليم، وخلال العدوان على غزة.

المشهد الثالث، تمثله المظاهرات والمسيرات التي خرجت في مصر والبحرين وتونس والجزائر، وهي دول تمنع الحق في التظاهر، بعدما لجأت إلى تحييد الإسلاميين بالقوة من المشهد السياسي، ورميهم في السجون، ما جعل أثرهم في المسيرات والتظاهرات محدودا أو منعدما. ففي مصر، التي تمنع التظاهر في البلاد منذ العام 2013، خرجت تظاهرات كبيرة وعفوية إثر صلاة الجمعة الثانية بعد العدوان على غزة، من الجامع الأزهر وغيره، وتمكن عدد كبير من المشاركين فيها من الوصول إلى ميدان التحرير في قلب العاصمة القاهرة، لكن ما إن وصلوا إلى الميدان حتى رددوا شعار"عيش، حرية، عدالة اجتماعية" الذي يعد أيقونة ثورة 25 يناير2011، وقد لجأت الشرطة إلى تفريقهم بالقوة.

لكن مع تزايد العدوان الإسرائيلي على غزة، أعطت السلطات المصرية، في أواخر أكتوبر الماضي، الضوء الأخضر لتنظيم مظاهرات مؤيدة للفلسطينيين، لكن في أماكن متفرقة، وتحت شروط صارمة. وقالت وسائل إعلام إن بعض تلك الاحتجاجات كانت برعاية الدولة، حيث جرى نقل المتظاهرين على متن حافلات مع ترديد هتافات متضامنة مع غزة، وأخرى مؤيدة للرئيس المصري عبد الفتاح السيسي.

أما في البحرين، التي تمنع الاحتجاج منذ 2011، خرجت تظاهرات أعادت إلى الأذهان احتجاجات الربيع العربي، خصوصا وأن بعض المتظاهرين حملوا لافتات تتضمن صورا للعاهل البحريني يصافح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مما استفز الشرطة التي تدخلت لتفريق المتظاهرين باستعمال القوة.

عموما، فقد سمحت السلطات في البحرين بعدة مظاهرات ومسيرات، هتفت بقطع العلاقات مع إسرائيل، ووصل مداها إلى البرلمان البحريني الذي طلب من الحكومة الاستجابة للشارع،

متظاهر مغربي تقمص دور مقاوم فلسطيني خلال مسيرة أمام مقر البرلمان في الرباط

بطرد السفير البحريني. أما في تونس، حيث تم تجميد حزب النهضة واعتقال قياداته، يلاحظ وجود تناغم بين النظام والمحتجين في الشارع بشأن إدانة العدوان الإسرائيلي على غزة، ومعلوم أن الرئيس التونسي لا يغفل عن أي فرصة لمهاجمة إسرائيل. وقد كتب أحد الخبراء في "مجموعة الأزمات الدولية" بأن "أحد دوافع سعيد لاتخاذ موقف رنان وإثارة الغضب الشعبي (ضد قصف غزة) ربما يتمثل في محاولة منه لصرف الانتباه بعيداً عن الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعصف بالبلاد منذ سنوات". وقد أبدى رأس النظام دعما لقوى سياسية تقدمت بمشروع قانون يرمي إلى تجريم التطبيع مع إسرائيل، إلا أنه تراجع عن ذلك، بحجة أن ذلك "التشريع ربما سيضر بآفاق تونس الاقتصادية والدبلوماسية المستقبلية".

تقدم الجزائر نفسها كقوة رافضة للتطبيع وداعمة للقضية الفلسطينية، وتعمل مؤسساتها المدنية بفاعلية في هذا الاتجاه، لكن رغم ذلك يلاحظ أن التظاهرات تجرى تحت مراقبة السلطة، بحيث "لا تسمح للشعب بالتعبير عن تضامنه مع الفلسطينيين كباقي الشعوب العربية، وذلك عبر تعبئة أذرعها السياسية والمدنية لاحتواء الموقف دون السقوط في إمكانية تحويل المظاهرات إلى احتجاجات سياسية مناوئة لها".

يبدو الموقف الجزائري في هذا السياق متشابها مع الموقفين التونسي والمصري. حيث السلطات تسمح بالتظاهر، لكن تحت المراقبة، وبغرض التنفيس، مع الحذر من أن تتحول تلك التظاهرات إلى احتجاجات مناهضة للحكومات، على غرار ما حدث في 2011.

المشهد الرابع، يتجلى في دول الخليج، خصوصا السعودية والإمارات، حيث الحظر التام لأي نشاط سياسي، سواء للتضامن مع الشعب الفلسطيني في محنته أو مع أي من القضايا الإنسانية.

إجمالا، يلاحظ أن المسيرات والتظاهرات في العالم العربي لم تحقق، لحد الآن، أيا من المطالب التي رفعتها، وخصوصا الضغط على الحكومات من أجل إلغاء اتفاقات التطبيع، باستثناء الأردن التي أعلن تجميد التوقيع على اتفاقية تبادل الماء والكهرباء، كان مقررا في نونبر الجاري. كما يلاحظ أن المظاهرات تخفت مع استمرار وطول أمد العدوان الإسرائيلي على غزة، مقارنة مع المظاهرات والمسيرات التي تخرج في أوربا وأمريكا، من أجل الضغط على حكوماتهم لوقف العدوان، رغم التضييق الذي يمارس ضد بعضها، خصوصا في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، بحجة أنها مسيرات تعادي السامية وتنشر الكراهية.

ثانيا: سيناريوهات العودة

من خلال المشاهد الأربعة، يلاحظ أن مستوى حضور القوى الإسلامية في التظاهرات والمسيرات التي خرجت للتنديد بالعدوان الإسرائيلي والتضامن مع غزة، تختلف من بلد إلى الآخر، ما يعني أن التساؤل حول احتمال عودتهم بقوة إلى المشهد السياسي، لا يشمل الدول التي تنشط فيها القوى الإسلامية باعتبارها قوى سياسية مسلحة، أخذا بعين الاعتبار البعد الطائفي أو عامل الاستقرار السياسي (اليمن، العراق، لبنان، ليبيا...)، ويركز أكثر على الدول التي تنشط فيها القوى الإسلامية باعتبارها حركات مدنية أو أحزابا سياسية تناضل من أجل الوصول إلى السلطة. في هذا السياق، يمكن التمييز بين مجموعتين:

المجموعة الأولى، تشمل الدول التي عملت على تحييد الهيئات والحركات والأحزاب الإسلامية بالقوة خلال العشرية الماضية (2013-2023)، مثل مصر وتونس والبحرين، أو السعودية والإمارات، حيث أغلب القيادات في السجون، فيما جرى تجميد أو تفكيك البنية التنظيمية لتلك الهيئات. وقد انعكس هذا الوضع على مستوى حضور الإسلاميين في التظاهرات، خصوصا في مصر وتونس، بحيث يبدو حضورا ضعيفا أو شبه غائب.

المجموعة الثانية، تشمل الدول التي همشت الأحزاب والقوى الإسلامية، لكن ظلت تسمح بوجودهم داخل المؤسسات أو على ضفافها، كما هو الحال في الأردن والمغرب والكويت، ويلاحظ أن حضور القوى الإسلامية في المظاهرات والمسيرات في هذه الدول يبدو أقوى وأكثر تنظيما وتأثيرا، وقد تكون هذه الظرفية فرصة للتعبئة والتجنيد وإعادة التموقع بشكل أفضل استعدادا للفترة القادمة.

في ضوء ذلك، يمكن استنتاج ثلاثة سيناريوهات بشأن مستقبل القوى الإسلامية، واحتمال تصدر المشهد السياسي مرة أخرى:

السيناريو الأول: إمكانية استئناف الدور، خصوصا في المغرب والأردن، على أساس وجود تنظيمات وبنيات استقبال قائمة وفاعلة نسبيا، وفي ضوء تجدد القدرة على التأطير والتعبئة والحشد بمناسبة التظاهر تضامنا مع غزة، ومن شأن الجمع بين الإمكانيتين أن يقدح شعلة هذه القوى من جديد، رغبة في استئناف الدور وتعزيز الحضور، خصوصا إذا نجحت الضغوطات الشعبية في كسر اتفاقيات التطبيع والتراجع عنها.

السيناريو الثاني: تشديد الحصار أكثر، خصوصا في الدول التي تقمع القوى الإسلامية، مثل مصر وتونس، حيث تدرك السلطات القائمة أن القضية الفلسطينية تشكل عامل تعبئة وحشد بالنسبة للقوى الإسلامية، كما تشكل مورد قوة سياسية، يتجدد مع كل عدوان إسرائيلي على الشعب الفلسطيني، ومن شأن ذلك أن يدفع تلك الأنظمة نحو مزيد من التضييق وخنق القوى الإسلامية حتى لا تكسر الحصار المفروض عليها.

السيناريو الثالث: استمرار الوضع على ما هو عليه، بحيث ستعمل الأنظمة السياسية من جهتها، في جميع الدول، على ألا تستفيد القوى الإسلامية من الوضع في غزة، خصوصا وأن حجم الضغط الشعبي ظل محدودا ومشتتا، وهو ما يفسر عدم تراجعها رسميا حتى الآن عن اتفاقيات التطبيع، والتزامها عدم التصعيد اتجاه الكيان الإسرائيلي رغم حجم التدمير والإبادة الجماعية التي يمارسها ضد الشعب الفلسطيني في غزة.

تداعيات على حركة حقوق الإنسان

يتعرض قطاع غزة منذ 7 أكتوبر، لانتهاكات جسيمة لمبادئ القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، وصلت حد ممارسة الإبادة الجماعية، وجرائم الحرب، وارتكاب جرائم ضد الإنسانية، بما في ذلك التهجير القسري والقتل المتعمد للمدنيين، والهجوم على المستشفيات والمدارس ومحطات المياه.

وبعد أكثر من شهرين من العدوان، يبدو أن إسرائيل قضت تماما على مقومات الحياة في شمال القطاع تحديدا، وذلك وسط دعم أوربي وأمريكي لا محدود، وعجز عربي لا ينتهي، وفشل هيئات الأمم المتحدة في ردع العدوان.

إزاء ذلك، تصاعدت حملات حقوقية وشعبية للتضامن مع الشعب الفلسطيني على الصعيد الدولي، بما في ذلك في أوربا وأمريكا، إلا أن تأثيرها على الحكومات والمنظمات الدولية المختلفة ظل محدودا. ما دفع البعض للتساؤل حول جدوى القانون الدولي، ومصداقية هيئات منظمة الأمم المتحدة، بل جدوى منظومة حقوق الإنسان ذاتها في ظل ازدواجية المعايير الغربية.

ما يثير قلق المنظمات الحقوقية، في هذا السياق، أن المواقف الغربية الداعمة لإسرائيل تعد تقويضا للمبادئ القانونية الأساسية التي يقوم عليها النظام الدولي الحالي. وقد شددت منظمة "هيومن رايتس ووتش" على ذلك بالقول إن "المعايير المزدوجة للحكومات الغربية لا تلحق الضرر فقط بالحماية المدنية للفلسطينيين، وإنما لها تداعيات على المستوى العالمي، لأنها تتحدى الالتزام الأساسي لهذه الدول بالقانون الدولي والقواعد التي يستند لها النظام الدولي".

تتقاسم منظمة هيومن رايتس ووتش موقفها مع منظمات حقوقية أخرى مثل منظمة العفو الدولية، ومعظم الهيئات الحقوقية العربية، التي تنتقد بشدة المعايير المزدوجة للغرب، والتي تجعل إسرائيل فوق القانون الدولي.

اللافت للنظر أن المعايير المزدوجة للغرب إزاء العدوان على غزة، وفشل المنظومة الدولية لحقوق الإنسان في ردع إسرائيل، قد تكون له تداعيات عديدة على واقع حقوق الإنسان في العالم، وفي المنطقة العربية، وهو ما ستحاول الفقرات المقبلة أن تبحث فيه.

متظاهرون مغاربة في هيئة مقاتلين فلسطينيين

انتهاكات منهجية للحقوق

يلاحظ أنه خلال العدوان على غزة، لم تقتصر الانتهاكات الجسيمة على القطاع، بل إن تداعيات العدوان امتدت إلى باقي مكونات الشعب الفلسطيني ومقوماته في الضفة الغربية والقدس، وإلى حركات التضامن في أوربا وأمريكا حيث جرى تقييد الحق في التعبير والتظاهر تضامنا مع الشعب الفلسطيني.

بخصوص انتهاكات إسرائيل، يتفق المحللون، عموما، على أن إسرائيل ترتكب في قطاع غزة جرائم تصنف ضمن "جرائم الحرب"، و"الجرائم ضد الإنسانية". وهذا الإقرار صدر لحد الآن عن مسؤولي هيئات أممية لحقوق الإنسان. بحسب المفوض السامي لهيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، فولكر تورك، فإن "العقاب الجماعي الذي تمارسه إسرائيل على المدنيين الفلسطينيين يعد جريمة حرب، وكذلك الإخلاء القسري غير القانوني للمدنيين".

كما أن المتحدثة باسم المفوضية الأممية لحقوق الإنسان، قد أقرت بأن إسرائيل ارتكبت "جرائم ضد الإنسانية"، كان أحدها في مخيم جباليا شمالي القطاع، مشيرة إلى أن إسرائيل تستخدم في قصفها للمباني والمنازل متفجرات ذات تأثير هائل، وأن المدنيين موجودون "تحت ضغوط هائلة ويعانون أوضاعاً صعبة للغاية".

لكن الاختلاف حتى الآن هو حول مدى ارتكاب إسرائيل جرائم "الإبادة الجماعية".

لكن يبدو أن الاقتناع بوجود جرائم الإبادة في تزايد مطرد، ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى مبادرة 300 محامي حول العالم، يتقدمهم الفرنسي جيل دوفر، قاموا بتقديم شكوى إلى محكمة الجنايات الدولية تتهم إسرائيل بارتكاب إبادة جماعية في قطاع غزة، كما انضمت إلى تلك الشكوى 111 منظمة غير حكومية من جميع أنحاء العالم.

وفي 9 نونبر الماضي عقد دوفر مؤتمرا صحفيا في لاهاي بهولندا، بمشاركة 30 محاميا وطبيبا وأكاديميا، أكد فيه أن إسرائيل تقوم بأعمال إبادة جماعية، موضحا أنه من بين المعايير الخمسة التي تحدد الإبادة الجماعية، هناك ثلاثة من هذه المعايير تستوفي التعريف المحدد، وهي: قتل أعضاء الجماعة؛ الإضرار الجسيم بالسلامة الجسدية أو العقلية لأعضاء الجماعة؛ إخضاع الجماعة عمدا لظروف وجودية يقصد بها تدميرها المادي كليا أو جزئيا.

من جهته، رأى المؤرخ الأمريكي اليهودي "راز سيغال" من جامعة ستوكتون في نيوجرسي، أن "العنف القاتل الذي تمارسه دولة إسرائيل ضد غزة له طابع إبادة جماعية". ويتابع المؤرخ نفسه: "في هجومها القاتل على غزة، أعلنت إسرائيل بصوت عال هذه النية"، مشيرا إلى تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي قائلا:"إننا نفرض حصاراً كاملاً على غزة؛ لا كهرباء، لا طعام، لا ماء، لا وقود، كل شيء مغلق؛ فنحن نقاتل حيوانات بشرية وسنتصرف وفقاً لذلك". وأوضح سيغال أن تصريحات وزير الدفاع تؤكد أن إسرائيل لم تستهدف "مقاتلي حماس، كما تزعم، بل يتعلق بإطلاق العنان للعنف المميت ضد الفلسطينيين في غزة في حد ذاته"، وخلص إلى أن إسرائيل "ترتكب حاليا ثلاث جرائم في غزة: 1- قتل أعضاء الجماعة؛ 2- الإضرار الجسيم بالسلامة الجسدية أو العقلية لأفراد الجماعة؛ 3- إخضاع الجماعة عمداً لظروف معيشية يقصد بها تدميرها المادي كليا أو جزئيا".

بخصوص التضييق على الحقوق في أوربا، تواجه الحركة الحقوقية والإنسانية عدة مضايقات، ففي بريطانيا ضغطت وزيرة الداخلية على الشرطة من أجل منع التظاهر والتضامن مع الشعب الفلسطيني، ووصفت حركات التضامن بـ"متظاهري الكراهية"، وأنهم يحثون على "معاداة السامية".

أما في ألمانيا، فقد أصدرت الحكومة تعليمات متشددة باعتبار بعض الهتافات التضامنية جرائم قانونية، مثل لبس الكوفية الفلسطينية في أماكن محددة، أو هتاف "من البحر إلى النهر، فلسطين ستكون حرة"، تحت ذريعة أنها دعوة إلى إنكار حق إسرائيل في الوجود. وتحد الشرطة الألمانية من التظاهر مع فلسطين بشكل غير مسبوق، وصل حد الاعتقال والتعنيف. وقد انخرطت مؤسسات في التضييق على كل من أعلن التضامن مع فلسطين، مثل إيقاف نادي "مايانز" الألماني اللاعب أنور الغازي بسبب تضامنه مع فلسطين، وهو الموقف الذي تكرر في نوادي رياضية أخرى مثل نادي "نيس" الفرنسي الذي أوقف اللاعب يوسف عطال، بل وصل التحريض ضد اللاعبين حد المطالبة بسحب الجنسية كما حصل مع اللاعب كريم بنزيما. في حين انخرطت جل وسائل الإعلام والقنوات في الدعاية للرواية الصهيونية، ومنع أي تعاطف أو تضامن مع الفلسطينيين، بل إن قنوات أقدمت على طرد صحافيين لهذا السبب، كما فعلت قناة BBC مع الصحافية ندى عبد الصمد، إثر التعبير عن تضامنها مع غزة ضد المحرقة الإسرائيلية.

وقد خلفت تلك الممارسات استياء واسعا في العالم العربي، وفي صفوف هيئات حقوق الإنسان، أفرادا و مؤسسات،

لأن الدعم الغربي الرسمي لإسرائيل، كشف أن القانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان مجرد شعارات جوفاء، حين يتعلق الأمر بحقوق الشعوب خارج جغرافية الإنسان الأبيض، ويبدو أن الشعور المتزايد بمخاطر ازدواجية المعايير في مواقف الحكومات الغربية، كان وراء تبلور حركة إنسانية وحقوقية مضادة ذات أفق عالمي.

حركة إنسانية مضادة

من المؤكد أن القضية الفلسطينية قضية عربية وإسلامية، ولكنها قضية إنسانية كذلك. وخلال العدوان الأخير على غزة، وفي ظل العجز العربي والإسلامي عن ردع العدوان، تجلى البعد الإنساني أكثر من غيره، ولعل أبرز مظاهره انخراط هيئات ومؤسسات وأفراد في حركة إنسانية مدنية وحقوقية للتضامن مع الشعب الفلسطيني، ورافضة للمواقف الرسمية الغربية والعربية على السواء، ويتوقع أن يكون لها تأثير جوهري على القضية بعدما تراجع وهجها في السنوات الأخيرة.

علاوة على هيئات حقوق الإنسان في العالم، المنظمات المناهضة للصهيونية ولإسرائيل في بلدان عديدة، تتشكل الحركة الجديدة من أفراد فاعلين في مواقع متعددة، ممن أعلنوا استقالتهم أو تضامنهم مع الشعب الفلسطيني ضد العدوان الإسرائيلي، منهم موظفو وكالات إعلامية دولية، وقنوات مثل BBC البريطانية وصحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية. تزايدت خلال فترة العدوان ظاهرة الاستقالات الاحتجاجية في الغرب، التي تشير إلى فشل المؤسسات والكيانات الحكومية وشبه الحكومية في الالتزام بمعايير متساوية

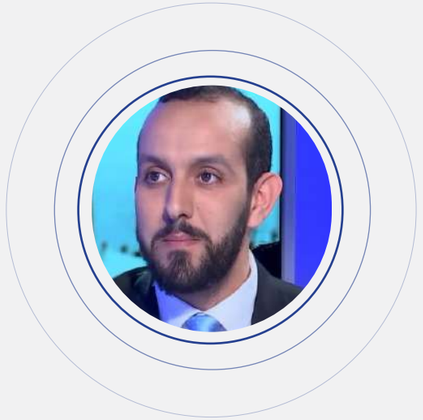

س: هل يمكن أن نقول إن ما يحدث في غزة منذ 7 أكتوبر 2023 يغير الوضع الإقليمي والدولي؟

ج: في الحقيقة لا أحد يستطيع أن يتوقع ما الذي ستؤول إليه الأمور، هناك تراكمات تجري منذ بداية القرن الحالي، لدينا أحداث فارقة جدا؛ تأثيرات 11 سبتمبر 2001 بعيدة المدى والتي تجعل من المسلم كائنا إرهابيا حتى يثبت العكس، ولدينا الانفجار الذي حدث مرتين (2010-2011 و2019) والذي سمي اختصارا الربيع العربي، والآن نحن أمام تنظيم حركي صغير الحجم نسبيا ومكون من بضعة آلاف من الأفراد بأسلحة بدائية ومحاصر في مربع جغرافي ضيق، والأكثر كثافة سكانية في العالم، يتجرأ على الدخول في مواجهة عسكرية مع جيش نظامي مسنود من كل القوى الغربية تقريبا. إنه ليس حدثا عاديا في نظر المواطن العادي في المنطقة، والذي قد يلهمه لمواجهة الأنظمة السياسية في المستقبل المنظور.

لماذا قرر الفلسطينيون الدخول في المواجهة؟ لأنها خيارهم الأخير، ولم يكن من الممكن أن تتم الصفقات والوعود على حساب مصالحهم البسيطة في العيش والأمن والحقوق الأساسية. لقد تجرعوا مرارة وعد بلفور واتفاقات السلام التي لم تأت بالسلم لهم، ولذلك قرروا أن يعدوا أنفسهم ليكونوا جزءا من التسوية وليس متفرجين على ما يجري. لقد كانوا يعرفون مسبقا أن التكلفة لن تكون بسيطة، لكن لم يعد لديهم خيار.

يقودنا هذا إلى ما هو أهم: تنظيم حركي يواجه دولة أو دول، هذا سيلهم بسطاء الناس ليواجهوا السلط القائمة في المنطقة، ما نزال في إطار ما سماه عالم الاجتماع السياسي أصف بيات بدينامية "تغيير بسطاء الناس للشرق الأوسط"، في كتابه المعروف "الحياة سياسة".

في زمن تواري النخب، لا شك أن أية ثقة يكتسبها

رشيد أوراز*:

الاتفاق الثلاثي (المغربي-الأمريكي-الإسرائيلي) جمّد عمليا

المواطنون العاديون في أنفسهم ستدفعهم لتغيير هذا الواقع الذي لم تتحسن شروط العيش فيه. في كل دول المنطقة ترى الغضب في صدور الناس وعلى وجوههم، وهذا سيدفعهم لإسقاط الصفقة الحالية حيث الأمن مقدم على التنمية وعلى الحريات وعلى الكرامة.

أما تأثير هذا على المستوى العالمي، فلست مؤهلا لأقول شيئا عن ذلك.

س: هل يتأثر المغرب بهذه الأحداث من حيث وضعه الجيو-سياسي؟

ج: كل الدول التي كانت فاعلة في القضية الفلسطينية توارت إلى الخلف، وبرز وسطاء جددا، وهو ما ينطبق على المغرب. ربما كان الأمر اختيارا قبل سنوات لكنه الآن أصبح واقعا، بالتالي فما يجري في الشرق الأوسط ككل يبدو بعيدا عن هنا، لكن في الآن نفسه قريب جدا؛ إذ أن المغرب هو الدولة الخامسة ربما على المستوى العالمي التي نظمت فيها مظاهرات ضخمة ضد الحرب التي تجري ضد قطاع غزة.

نعود إذن في نفس التحليل: الدول والحكومات تتراجع أو تكون لديها خيارات معينة، لكن المواطنون العاديون لديهم قراءتهم الخاصة فيتقدمون للمواجهة. ربما يتبعون ما يسميه الوطني الأمريكي الكبير توماس باين ب"المنطق السليم"، ربما يستمعون إلى منطقهم الأخلاقي، ربما هم أكثر إيمانا بمبادئ العدالة وحقوق الإنسان من سياسييهم، وهذا ليس جديدا، المواطن العادي غير المنغمس في السياسة ووسخها أكثر تشبثا بقيم العدالة من السياسي الذي يتبع مصالحه المادية في الغالب.

كان من المفروض أن تعبر النخب عن هذه التطلعات، لكنها غائبة في العموم، لماذا؟ لا أدري. هي من يجب أن تجيب. وعلماء الاجتماع لديهم عمل مهم ليقوموا به في هذا الباب.

ما يبدو أنه وقع لحد الآن هو أن الاتفاق الثلاثي قد جمد عمليا، ولا بد من وقت طويل حتى يتقبل الناس الحديث مرة أخرى عن أي تطبيع كيفما كان نوعه.

س: كيف ينبغي لصناع القرار المغاربة التعاطي مع الوضع الحالي من زاوية الحفاظ على المصالح الحيوية؟

ج: خيارات المغرب محدودة جدا، وأتوقع أنهم سينتظرون ما الذي سيجري في اليوم الموالي، ليتأقلموا معه مرة أخرى. لقد كانت أزمة كوفيد 19 جرس إنذار أن النظام العالمي دخل مرحلة اضطراب، وسيمتد ذلك لبعض الوقت، لكن سرعان ما تم تناسي ما جرى وبدأ صناع القرار يتصرفون وكأن الوضع عاد لما كان عليه من قبل.

هناك مشكلة لا يتحدث عنها الكثيرون ولا يقدمون تحليلات أو تفسيرات، وهي أن الدول الصغيرة في المنطقة أصبحت ذات تأثير أكبر من حجمها، ربما لديها موارد ريعية تعطيها جرأة زائدة على التصرف، لكن الثورة التكنولوجية وثورة الإعلام أعطتها وسائل للتأثير، وبما أن خسائرها التي تنتج في العادة عن القيام بمغامرات في المنطقة لا تكون كبيرة، فهي الآن أكثر جرأة على الاستثمار في التخريب، وهذا سيؤثر بشكل أو بآخر في مصالح كل الدول في المنطقة.

هناك أيضا وضع متفجر في الساحل الإفريقي، ومهما كانت درجة التحكم فيه الآن، فإن انزلاقه للفوضى سيؤثر على المنطقة ككل.

النظام الاقتصادي العالمي أيضا في مرحلة مضطربة بسبب الشعبويات اليمينية واليسارية، ولما سيلحق الأذى شعوبا ومجتمعات كثيرة إذا انحسرت المكاسب المادية من التحرير الاقتصادي الذي استفادت منه نخب محددة ورأسمالية المحاباة، ولم يستفد منه المواطنون وخصوصا الطبقة الوسطى بنفس الدرجة، فقد يخلق ذلك مزيدا من النزاعات والصراعات خلال السنوات المقبلة.

في وضع مثل هذا، وعندما تكون دولة نامية بدخل سنوي فردي محدود مثل الذي يحققه المغرب، فمن الصعب أن تكون بمنأى عن التقلبات الخطيرة التي تجري في المنقطة وعلى الصعيد العالمي

*باحث رئيسي في المعهد المغربي لتحليل السياسات

لطيفة البوحسيني*: احترام حق المغاربة في التظاهر قد يشكل خطوة لطي ملف الانتهاكات الحقوقية

س: هل يشكل العدوان الحالي على غزة منعطفا في مصداقية الشرعة الدولية لحقوق الانسان؟

ج: إن تعامل وتصرف ومواقف الدول "الكبرى" والقوى المؤثرة على القرار الدولي هي التي فقدت كل مصداقية، أما الشرعة الدولية لحقوق الإنسان، فهي لا زالت لها أهميتها.

مواقف أمريكا ومعها الدول الأوروبية بما في ذلك فرنسا التي كانت حريصة في السابق على احترام نوع من التوازن هي التي أعطت دليلا إضافيا على اعتمادها ازدواجية المعايير. وهو منهج أظر تعاملها منذ مدة، وأصبح اليوم مكشوفا وواضحا أكثر من أي وقت مضى.

لقد دأبت هذه الدول على غض الطرف على كل الانتهاكات المرتكبة من طرف إسرائيل لمدة عقود في حق الشعب الفلسطيني.... ولم تلعب أي دور للضغط عليها من أجل احترام القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة. إن مواقف الدعم المعبر عنها من طرف هذه الدول لإسرائيل بخصوص المجازر المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني في غزة هو استمرار لنهج يضرب عرض الحائط الشرعة الدولية التي من شأن احترامها وإلزاميتها أن يشكل رادعا للقوى التي تتشبث بمنطق الهيمنة وبمنطق الدفاع عن مصالحها في تجاوز صارخ للقيم الإنسانية.

إخراج ورقة الفيتو من طرف أمريكا لثلاث مرات في وجه قرار وقف إطلاق النار في غزة يؤكد أن أرض ابراهام لينكون ومارتن لوثر كينج وإليانور روزفلت لا زالت تحن إلى عهود لم يكن فيها للنفس البشرية وللكرامة الإنسانية أي اعتبار.

لقد شكل اعتماد الشرعة الدولية في مجال حقوق الإنسان خطوة إيجابية للإنسانية جمعاء، لكن الميكانزمات المتحكمة في القرارات الصادرة عن مجلس الأمن والأمم المتحدة بشكل عام هي التي تستدعي إصلاحا جذريا يضع حدا لاستحواذ بعض الدول بحق الفيتو واستعماله

في احترام الحريات وحقوق الإنسان.

ففي هولندا انسحب 12 مخرجا وفنانا من مهرجان أمستردام الدولي للأفلام الوثائقية"، الذي يُعتبر المهرجان الأكبر من نوعه على مستوى العالم. كما استقال 8 وزراء دفعة واحدة من حكومة الظل التي يقودها حزب العمال البريطاني المعارض، بعد تصويت الأخير ضد مشروع قرار يطالب بوقف إطلاق النار في غزة داخل مجلس العموم البريطاني.ولعل أقوى تعبير عن هذه الحركة الإنسانية المضادة للعدوان وسياسات إسرائيل، مبادرة المحامي الفرنسي، جيل ديفرز، الذي نجح في تجميع ما أطلق عليه "جيش من المحامين" من مختلف الجنسيات، ممن قرروا مقاضاة إسرائيل أمام محكمة الجنايات الدولية، وقد أعلنت 111 هيئة حقوقية عبر العالم الانضمام إلى المبادرة، كما انخرطت دول في نفس الاتجاه، أبرزها دولة جنوب افريقيا. ومن شأن هذه المبادرات أن تسهم في إعادة تشكيل الحركة الحقوقية والمدنية العالمية، في اتجاه مزيد الضغط الحقوقي والمدني على الحكومات، من أجل الانقياد لمبادئ العدالة والقانون.

في العالم العربي، يبدو الوضع مهترئا أكثر بسبب تراجع دور المنظمات الحقوقية خلال العقد الماضي، بعد الانقلاب على مخرجات ثورات الربيع العربي لسنة 2011، وتمدد الحكومات السلطويات. ومنذ بدء العدوان على غزة، تراجع دعم الحكومات الغربية لمنظمات حقوق الإنسان العربية، حيث أقدمت سويسرا على وقف تمويل إحدى عشرة مؤسسة فلسطينية وإسرائيل تعمل من سنوات في مجال حقوق الإنسان. وخطورة الأمر أن هذه المنظمات تساهم في توثيق جرائم الحرب التي تقوم بها إسرائيل في غزة.

ليست هذه هي الحالة الوحيدة؛ فقد أوقفت الحكومة الألمانية تمويل بعض مشاريعها في مصر، كما بادرت إحدى المؤسسات المصرية بإيقاف عملها مع الحكومة الألمانية لموقفها الداعم من إسرائيل.

إزاء ذلك، تبلور موقف حقوقي عربي صارم قد يأتي على حساب الشراكة بين دول الاتحاد الأوربي وبين منظمات المجتمع المدني في المنطقة. فردا على مواقف الاتحاد الأوربي والحكومات الغربية المنحازة لإسرائيل، أصدرت 181 منظمة وائتلاف عربي بيانا أكدوا فيه على موقفهم الداعم لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ونيل حريته، والمقاومة المشروعة للمحتل بما فيها الكفاح المسلح، واعتبار العدوان الإسرائيلي على غزة تهديدا للأمن والسلم الدوليين. موقف قد تكون له تداعيات على علاقات الشراكة بين المجتمع المدني في الدول العربية والدول الأوربية، ويتوقع محللون أن يؤدي إلى تصدعات في تحالف الحكومات الغربية مع أنصار حقوق الإنسان العرب نتيجة امتناع الأخيرين عن إدانة حركة حماس.

يمكن القول أنه بناء على انحياز أغلب الحكومات الغربية لإسرائيل، وتبنيها للمعايير المزدوجة في التعاطي مع حقوق الشعب الفلسطيني، ونتيجة لتبلور حركة إنسانية مدنية وحقوقية في الغرب متضامنة مع الحق الفلسطيني في تقرير المصير وتأسيس دولة مستقلة كاملة السيادة، وبناء على التصدع في علاقات التعاون بين المؤسسات الغربية وهيئات حقوق الإنسان العربية، فإن العدوان على غزة قد تكون له تداعيات جوهرية على حقوق الإنسان، منها إمكانية تشكيل نسيج جديد من التحالفات بين القوى المدنية والحقوقية عبر مختلف دول العالم، بأجندات مدنية وحقوقية تأخذ المسافة اللازمة عن استراتيجيات الحكومات وحساباتها، وهو نسيج يمكن أن تجمع بينه قضايا حقوق الإنسان والعدالة وسمو القانون لكل شعوب العالم بدون تمييز على أي أساس كان، وفي إطار ما سمي بـ"وحدة ساحات النضال"، وهو نسيج منحاز للقيم الإنسانية المشتركة العامة، بعيدا عن القيم الغربية بخلفياتها الإيديولوجية وطموحاتها في الهيمنة والسيطرة.

لقد أكد العدوان على غزة، والتظاهرات التي خرجت في العالم، إمكانية تحقق ذلك، وخصوصا إمكانية الانتقال بالنضال الحقوقي من مساحته الضيقة التي تهم نخبا معينة، إلى مساحات واسعة تهم الشعوب والحركات الجماهيرية وطموحاتها في العيش المشترك، وفق مرجعياتها وقيمها التي ارتضتها لنفسها في الزمن المديد.

لانتهاك أسس الشرعة الدولية.

باسم التشبث بالشرعة الدولية ينبغي الدفاع عنها ضدا على محاولات تقويضها بناء على منطق الغلبة للقوي وللمهيمن

س: هل يمكن للأنظمة غير الديمقراطية أن تستغل ما يحصل لتبرير عدم احترامها لحقوق الانسان؟

ج: هذا أكيد، خصوصا أن الخطوات المحتشمة التي اعتمدت في مجال احترام حقوق الإنسان في هذه البلدان التي تحكمها أنظمة غير ديمقراطية كان نتيجة للضغوط التي مارستها عليها الأنظمة الديمقراطية. وقد لاحظنا تراجعا على هذا المستوى منذ أن بدأت عدد من هذه البلدان الديمقراطية تشهد هي نفسها تراجعا في مجال احترام حقوق الإنسان.

ولعل تزايد نجم أحزاب اليمين المتطرف والتيارات الشعبوية وانتشار الكراهية والعنصرية الموجهة ضد مواطنيها من أصول أجنبية، خصوصا من بين المسلمين، شكل البيئة التي أدت إلى هذا التراجع ذو الارتدادات السلبية على بلداننا، وهو ما يدفع إلى التفكير في ضرورة الاعتماد على النفس والسعي إلى التنسيق والتشبيك بين منظمات المجتمع المدني والمنظمات الحقوقية في البلدان غير الديمقراطية داخليا وفيما بينها للضغط على أنظمتها. حتى بعض المنظمات الحقوقية في البلدان الغربية، ودفاعا عن مصادر تمويلها غير قادرة على الانتصار لمبدأ كل حقوق الإنسان لكل الناس، مما يحتم على الحركة الحقوقية في البلدان العربية وبلدان الجنوب إسماع الصوت المدافع عن حقوق الإنسان كما هي متعارف عليها كونيا...وليس حصريا كما يفهمها الغرب.

س: كيف تتصورين انعكاس ما يجري في غزة على الوضع الحقوقي في المغرب؟

ج: يتسم الوضع الحقوقي في المغرب ومنذ سنوات بتراجع تدريجي ومؤكد على المكتسبات التي تم تحقيقها في السابق. ولعل التراجع عن حرية التعبير يشكل المؤشر الهام عن هذا التراجع. كما أن اعتقال ومحاكمة بعض النشطاء بسبب موقفهم من تطبيع النظام المغربي مع إسرائيل وقمع الوقفات الرافضة له قبل7 أكتوبر المجيد، يضاف إلى لائحة الانتهاكات التي يشهدها المغرب. غير أن مختلف المسيرات والوقفات التي تُنظم دعما للشعب الفلسطيني، أكدت من جهة أن أطيافا واسعة من المغاربة لا ولن تتخلى عن دعمها لإحدى أهم القضايا العادلة عالميا، ألا وهي القضية الفلسطينية، ومن جهة أخرى لأن السلطات، باحترامها لحق المغاربة في التظاهر قدمت مؤشرا إيجابيا لا ينبغي التراجع عنه، وهو ما قد يشكل خطوة في اتجاه طي ملف مختلف الانتهاكات التي طبعت المشهد الحقوقي المغربي في السنوات الأخيرة. هذا ما نأمل ونحن مستمرون في دعمنا لأهالينا في غزة العزة.

*أستاذة جامعية

غزة تخشى شتاء قاسيا

يُقبل فصل الشتاء على غزة بسرعة كبيرة، فالعواصف المطيرة والرياح العاتية بدأت باكتساح المنطقة الساحلية من القطاع ممّا تسبّب في تناثر الخيام واجتياح المياه نحو النازحين الذين يقبعون دون مأوى في أزمة إنسانية شرّد فيها الهجوم الإسرائيلي على غزة نحو 1.3 مليون شخص.
ومع إعلان إسرائيل عن خططها لاستئناف الحرب حتى نهاية شهر يناير المقبل، يعتبر حلول فصل الشتاء بشكله القوي من أكبر المخاوف التي يهابها كثيرون ممّن يعيشون في وضع ميؤوس منه.

#روبورتاج

ترجمة: نبيل حانة

المصدر: (الكارديان)

مع حلول فصل الشتاء، أصبح الوضع أكثر كارثية في غزة، ممّا كان عليه، حيث تستمر معظم أنظمة الرعاية الصحية في غزة بالانهيار بشكل سريع.

تلد النساء الحوامل داخل الخيام في ظروف غير صحية وبدون تعقيم، فيما يتسبب الدخان المنبعث من حرائق الأخشاب في تفشي أمراض الجهاز التنفسي، كما يضطر أولئك الذين يحتاجون للدواء إلى تفقّد ما يقارب عشر صيدليات مشيا على الأقدام، في عملية بحث غالبا ما تكون غير مجدية.

يقول محمود أبو رزّان، وهو نازح من بلدة بيت لاهيا شمالي القطاع إلى رفح: "الجو بارد جداً والخيمة صغيرة للغاية، أنا لا أملك سوى هذه الملابس التي أرتديها، ولا زلت أجهل ماذا سيحدث بعد هذا".

"لم نرى أي شيء جيّد هنا إطلاقا، إننا نعيش هنا في البرد القارس"، تقول سعاد قرموط، وهي سيدة فلسطينية أجبرت هي الأخرى على النزوح من بلدة بيت لاهيا بسبب العدوان، وتضيف: "لا توجد هنا أية حمّامات إننا ننام فوق الرمال".

حدّثتنا سعاد، وقد كانت بجوار أطفال يلتفّون حول موقد نار خشبي بحثا عن بعض الدفء، "إنني مريضة بالسرطان، ولا يوجد أي فراش لأنام عليه، أفترش الرمال وهي متجمدة بالبرد".

يروي النازحون الفلسطينيون الذين تحدثنا معهم في رفح خلال الأيام الأخيرة نفس الحكاية: عواصف قوية، اكتظاظ شديد، ظروف غير صحية، ونقص في الغذاء والمأوى.

تتفاقم الأمراض المعدية بشكل مثير للقلق وذلك وفقا لبيانات المواكبة التي نشرتها منظمة الصحة العالمية، حيث تتفشّى أمراض الإسهال الدموي، التهاب الجهاز التنفسي، الزرقان، التهاب الكبد الوبائي والتهاب السحايا.

الأمطار والعواصف تبعثر خيام النازحين وسط انهيار كامل لخدمات الرعاية الصحية وتخوف من أن الأمور على وشك أن تتفاقم.

ويتسبب النقص في توفّر المضادّات الحيوية خلال العمليات الجراحية إلى الزيادة في أعداد الوفيات النّاجمة عن انتقال العدوى بين صفوف الجرحى. إنّ الأشخاص المصابون بالأمراض المزمنة لا يستطيعون الحصول على رعاية طبية أو أدوية، وبالتالي فهم يموتون في غالب الأحيان بدون أن يتم تسجيلهم على أنهم ضحايا لهذه الحرب.

لقد كانت والدة رمزي، التي تبلغ من العمر أربعة وخمسين عاما، والتي تم إجلاؤها رفقة ابنها من شمال غزة نحو رفح، إحدى تلك الحالات.

يقول رمزي لصحيفة الغارديان: "توفيت والدتي خلال الأسبوع الماضي. لقد كانت تعاني من ارتفاع شديد للدم والسكري، نحن نعيش في ظروف سيئة للغاية في أحد الملاجئ التابع للأونروا في رفح، إننا نعيش داخل الخيام ونفتقر إلى أبسط الأشياء التي نحتاج إليها حيث يصعب الحصول على أي شيء هنا".

مستشفيات عاجزة

ليس في مقدرة كبار السن أن يتحملوا مثل هذه الظروف الصعبة، وفي مثل هذه الحالات تصبح المستشفيات عاجزة تماما عن التعامل مع ما يسمّى بالأمراض الاعتيادية، لأن جلّ المستشفيات هي مكتظة أساسا بمئات المصابين والجرحى الذين يستمرون بالتوافد عليها بشكل كبير، وحتى الجرحى لايزال العديد منهم ملقى بباحات المستشفيات نظرا لامتلاء جميع الأسرّة.

"لم نتوقع أبدا أنه سيأتي يوم ندفن فيه أقاربنا بعيدا عن منطقتنا أو مدينتنا"، يقول "ليو كانز" من منظمة أطباء بلا حدود: "إن الظروف جد مزرية هنا. يعاني الناس من الاكتظاظ ونقص المياه الصالحة للشرب، فالمياه المتوفرة هي مياه فاسدة، وبما أن الناس تميل إلى التقشف على ما لديهم من الماء، فهم يضطرون إلى الاغتسال بوتيرة قليلة"

"إنها الوصفة المثالية لانتشار الأمراض المعدية، حيث تركّز خدمات الرعاية الصحية المتبقية بشكل أكبر على إنقاذ الأرواح داخل المستشفيات"

وفي خضم التركيز على الإصابات الناجمة عن الحرب، هناك قلق كبير إزاء تفشي الأمراض بين صفوف النازحين.

وصرّحت "مارغريت هاريس" من منظمة الصحة العالمية لإذاعة "إن بي آر" الأسبوع الماضي بقولها: "إننا نشهد بالفعل على حالات تفشي أمراض بشكل مثير للقلق، مثل مرض اليرقان والذي نعتقد أنه التهاب كبدي صنف(أ)، وهذا راجع لكون ظروف انتشار هذا المرض متواجدة في كل مكان."

"خصوصا إنها المياه الفاسدة ونقص خدمات الصرف الصحي والاكتظاظ، إلاّ أننا في الواقع لا نستطيع إجراء اختبارات طبية للتأكد من الالتهاب الكبدي (أ) نظرا لانّ المختبر الذي نستخدمه عادة يتواجد داخل مركز الشفاء الطبي وهو خارج عن الخدمة الآن.

"يتعرض المرء هنا باستمرار لبكتيريا وفيروسات معدية من طرف أشخاص آخرين، حيث أننا نرى أن هنالك أعداد هائلة من حالات الإسهال مقارنة بما نراه عادة بين سكان غزة في مثل هذا الوقت من السنة".

> **مع الحلول الكلي لفصل الشتاء سيبدأ الناس بالموت وسط شوارع غزة.**

وصفت حنين وشاح، وهي مديرة مشروع في منظمة "أكشن إيد" الإنسانية بمستشفى العودة الذي تتم محاصرته الآن في شمال القطاع، وقد نزحت نحو رفح خلال وقت مبكر من اندلاع الحرب، (وصفت) الوضع الصحي في غزة على أنه عودة كارثية إلى فترة ما قبل توفر المضادات الحيوية، حيث شحّ المخزون لتصير شبه منعدمة.

"ينتشر داء التهاب الكبد الوبائي بين النازحين داخلياً نظرا لأن المخيمات لم تصمّم لاستقبال آلاف اللاجئين، كما أن هناك بضع آلاف ممّن ينامون بالشارع دون أي مأوى. إنه الجنون بعينه".

ومع إعلان إسرائيل عن خططها لاستئناف الحرب حتى نهاية شهر يناير المقبل، يعتبر حلول فصل الشتاء بشكله القوي من أكبر المخاوف التي يهابها كثيرون ممّن يعيشون في وضع ميؤوس منه.

تقول حنين: "يا إلهي، إنه فصل الشتاء. إن لم يمت الناس جرّاء القصف فسيموتون في الشوارع، إننا جميعا ندعو من الله لكي يؤخر فصل الشتاء بأعجوبة ما، يبدو الأمر فظيعا بدون مطر أو عواصف، ولكن عندما يهطل المطر فحتما سيموت العديد من الناس".

إن الرسائل الصوتيّة التي بعثها موظفو "أكشن أيد" إلى زملائهم المتواجدين خارج غزة والتي تمت مشاركتها مع صحيفة "الغارديان" تصور تزايد الوضع الميؤوس منه داخل مخيمات اللاجئين. يقول "أبو" الذي يعيش داخل خيمة بأحد الملاجئ التابع للأمم المتحدة: "لقد غمرتنا مياه الأمطار يوم أمس".

"لقد تناثرت كل الخيام التي كانت مصنوعة من الخشب وقماش النايلون، إنّها مصممّة بشكل بسيط جدّا لا يمكنها من إيواء أي أحد، لم تصمد في وجه الريح والمطر حيث تناثرت جميعها بفعل الرياح القوية".

"تواجهنا مشكلة أخرى الآن تكمن في تفشي الأمراض وخصوصا الإسهال، وقد أصبت به للأسف ولكنه لحسن حظي، تحسنت حالتي بعد مرور بضع أيام، قد يكون الأمر أفضل بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون في بيوت محصنة حيث يتوفرون على الدفء والحماية من الأمطار والرياح".

لا أدوية في القطاع

"يناضل الناس في سبيل الحصول على الدواء لأطفالهم إلا أنه لا توجد أية أدوية داخل الصيدليات. إنها كارثة عظمى تفوق خيال أي إنسان".

وممّا يزيد من الأمر تعقيدا هو أن العديد ممّن فرّو جنوبا خلال الأسابيع الأولى من الهجوم الإسرائيلي، هربوا بملابسهم الصيفية فقط حيث كان الجو خريفيا دافئا بشكل غير اعتيادي، ومع افتقارهم الآن إلى الملابس الشتوية والبطانيات بل حتى مراتب النوم فإنهم معرّضون للخطر بشكل أكبر بكثير.

ومن خلال رسالة صوتية ثانية تمت مشاركتها مع صحيفة "الغارديان"، وصفت رنا التي تعيش رفقة أطفالها داخل خيمة صغيرة أهوال العاصفة الأخيرة.

"بالنسبة إلينا نحن الذين نعيش في الخيام، فإن الوضع الذي نعيشه هو مرحلة عصيبة بسبب الطقس السيء الذي نواجهه الآن".

"لقد كان أطفالي مرعوبين للغاية بسبب العاصفة التي ضربت، كانت الخيمة على وشك الطيران بعيدا وكدنا نتجمّد من البرد، لقد ظل الأطفال يرتجفون بشكل كبير".

"لم أتمكن من العثور على بطانية لكي أغطيهم. لقد أعطونا بطّانية لكل شخص، إلاّ أنها كانت رقيقة جدّا لم تبقينا دافئين، إنها غير مجدية".

"لا تتوفر لدينا أي سترات أو ملابس شتوية، ونحن لا نعرف ماذا سنفعل، لا يوجد فراش ننام عليه، إننا نفترش الأرض وهي من تحتنا مغطاة بالشوك".

"لايزال أطفالي صغارا، وزوجي لا يتواجد هنا، إنني هنا لوحدي."

سيول في المخيمات

تساقطت أمطار شتوية غزيرة على غزة أدت إلى اجتراف الخيام واجتياح المياه لعدد من المناطق من القطاع، حيث وصف رئيس وكالة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين الفلسطينيين الأوضاع المتدهورة في المنطقة الساحلية من قطاع غزة على أنها "الجحيم بعينه."

وفي خضم النّقص الغذائي المتزايد وتفشّي الأمراض المعدية الفتاكة والانهيار شبه الكامل لنُظم خدمات الرعاية الصحية في غزة، تحوّلت الكثير من المناطق الشاسعة إلى مساحات منكوبة يكسوها الوحل والمياه وذلك بسبب العاصفة الشتوية القوية التي ضربت القطاع، فقد اجتاحت المياه العديد من ملاجئ النازحين الذين كانوا نائمين داخل الخيام البلاستيكية المهترئة.

ميدانيا، أعلنت إسرائيل أنها فقدت تسعة جنود بينهم ضابطان من كبار قادة جيش الدفاع الإسرائيلي بالإضافة إلى عدة ضبّاط آخرين في كمين محكم نصبه عناصر من مقاتلي حماس بحي الشجاعية بمدينة غزة، وسط استمرار قتال ضاري بمختلف مناطق القطاع.

ويأتي استمرار تردّي الأوضاع الإنسانية بوتيرته المتسارعة في الوقت الذي تسبب فيه العدوان البري والبحري الذي تشنه إسرائيل على قطاع غزة، منذ الهجوم الذي نفذته حركة حماس في السابع من أكتوبر، مما أجبر نحو 85% من ساكنة القطاع على ترك منازلهم والمبيت في العراء.

من بين أولئك الذين وجدوا أنفسهم مشردين هناك أمين عدوان، والذي كان يعسكر رفقة آلاف من النازحين الآخرين على أرضية مستشفى شهداء الأقصى وسط غزة، وقد أفاد بأن أسرته لم تعد قادرة على النوم.

صرّح أمين لوكالة الأخبار الفرنسية قائلا: "لقد حاولنا العثور على أغطية نايلون إلا أننا لم نتمكن من العثور على أي منها، فلجأنا إلى الحجارة والرمل من أجل منع تدفق مياه المطر إلى داخل الخيام.

يتموقع مجمّع الخيام للنازحين الفلسطينيين في رفح فوق مساحة رملية تتناثر فيها أكوام القمامة في كل مكان، لقد كان النازحون في حالة ذهول وهم يستجمعون قواهم بعدما عاشوا وقائع ليلة رهيبة.

كانوا يحملون دلاء مملوءة بالرمل من أجل استخدامها في تغطية البرك المائية التي تشكلت داخل خيمهم أو بالقرب من مداخلها، فيما انشغل آخرون بنشر ملابسهم المبتلة على واجهات الخيام البلاستيكية الرديئة.

تمتلك بعض الأسر خيما مناسبة، إلا أن أسرا أخرين يأوون خيما مصنوعة من القماش المشمع أو البلاستيك الرقيق الشفاف والمصممة خصيصا من أجل حفظ البضائع وليس من أجل توفير المأوى للنازحين. لا تتوفر العديد من هذه الخيام على أفرشة

> **"لم نر أي شيء جيّد هنا إطلاقا، إننا نعيش هنا في البرد القارس"**

أرضية حيث يضطر العديد من الناس إلى إمضاء الليل وهم يقبعون فوق الرمال الباردة المبتلة.

يقول رمضان محدد، أحد النازحين الفلسطينيين في منتصف العمر، وهو يحاول ترميم مأوى أسرته الذي كان مصنوعا من لوحات الخشب الهجين وأغطية البلاستيك الرقيق: " لقد تمزقت الخيمة وغمرتنا المياه، لقد غرقنا".

كان قميص محدد الأبيض منقوعا ببقع كبيرة من المياه غمرت جهة العنق والكتفين. "لقد حاولنا أكثر من قدر الإمكان من أن نساعد أنفسنا حتى لا تتدفق المياه إلينا ولكن بعد هطول الأمطار لم تكن هناك أي فائدة... إن هذا البلاستيك لا يحمي الأشخاص الذين ينامون تحته".

كانت التشققات بارزة في الخيم البلاستيكية الخاصة بالأسر الأخرى وقد تشكلت بداخلها برك مائية. قامت إحدى الأسر بإنشاء كتلة إسمنتية عند مدخل خيمتهم كسدّ لمنع تسرّب المياه إلى الداخل، كما وضعوا لبنات طوبيّة تشبه الحجارة على الأرضية الداخلية للخيمة.

> **تستقبل مدينة رفح الآن أكثر من مليون نازح وكان يسكنها حوالي مائتان وثمانين ألف شخص**

جثث تحت الماء

في مخيم جباليا للاجئين، وثّق مقطع لفيديو قصير نشره صحفي بقناة الجزيرة مشهدا لفتى يافع يسير عبر مياه قذرة تغمره حتى الركبتين وهو يحمل جثة مكفنة، قيل إنها تعود لأحد أشقائه.

بوصفه للوضع في غزة، قال "فيليب لازاريني"، رئيس وكالة اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة (الأونروا) خلال اجتماع مجلس الأمم المتحدة العالمي للاجئين في جنيف، أنه شهد "الجحيم فوق الأرض."

وقد صرّح بعد زيارته الثالثة الأخيرة إلى المناطق المنكوبة بغزة أن الناس في الأراضي الفلسطينية "يواجهون أحلك فصول تاريخهم منذ نكبة 1948، والتي كانت فترة تاريخية مؤلمة".

يقول لازاريني: "لقد تم تهجير معظم سكّان غزة بشكل قسري وحُشد معظمهم نحو الجزء الجنوبي من القطاع حيث تستقبل مدينة رفح الآن أكثر من مليون نازح وكان يسكنها حوالي مائتان وثمانين ألف شخص".

تفتقر رفح إلى البنيات التحتية والموارد اللازمة لدعم هذه الشاكلة من السكان. تعيش العائلات، داخل مخيماتنا، في مساحات ضئيلة تفصل بينها بطانيات رفيعة معلقة على هياكل خشبية رقيقة. أما في المساحات المفتوحة فقد انتشرت خيم مهترئة في كل مكان. لقد تحولت رفح إلى مجتمع من الخيام."

كما وصف "لازاريني" رؤيته لناس يستوقفون شاحنة مساعدات ويأكلون الطعام الذي وجدوه بداخلها وهم يقفون في أرصفة الشوارع وقد انتابتهم حالة من اليأس.

"إن المساحات المحيطة بمباني "الأونروا" مكتظة بالخيم والأشخاص اليائسين والجياع. لم تعد المساعدات قادرة على الوصول إلى أولئك الذين لم يتمكنوا من الفرار نحو الجنوب، وليس هناك من طعام يمكن شراؤه، وحتى بالنسبة لمن يمتلكون المال فرفوف المتاجر فارغة تماما".

وفي حين صرّحت وزارة الصحة الفلسطينية في غزة على أن عدد شهداء العدوان الإسرائيلي المستمرة منذ شهرين تجاوز ثمانية عشر ألف شهيد جلهم مدنيون، أعلنت إسرائيل عن مقتل اثنين من كبار قادتها، بالإضافة إلى سبعة جنود آخرين قتلوا على إثر كمين محكم نفذته عناصر مقاتلي حماس بحي الشجاعية بغزة.

وقُتل العقيد الملازم "تومر جرينبيرج" قائد لواء جولاني، والذي سبق أن قاتل

خد مقاتلي حماس أثناء هجومهم على مستوطنات غُلاف غزة خلال هجوم السابع من أكتوبر، وقد لقي حتفه الآن خلال محاولة فاشلة لإنقاذ أربعة جنود مصابين بمعركة حي الشجاعية.

وقتل "جرينبيرج" وعدد من كبار ضباطه في معركة الشجاعية باستخدام أجهزة متفجرات محلية الصنع وبفعل إطلاق النار عليهم من المباني المجاورة لموقع المعركة، ضمن واحدة من أكبر الهجمات وأكثرها فتكا بالجنود الإسرائيليين حتى الآن في هذه الحرب المستمرة منذ شهرين في غزة.

ومن بين الأشخاص الذين أعلن جيش الدفاع الإسرائيلي عن مقتلهم يوم الأربعاء الماضي هناك عقيد آخر، وثلاثة ضباط برتبة رائد، بالإضافة إلى سبعة أفراد من عناصر فرقة نخبة قوات الإنقاذ الحربي. وأوضح مسؤول في جيش الدفاع الإسرائيلي أنهم لقوا مصرعهم على إثر معركة شنها الجيش على "مجمّع قتالي" لحماس يتكون من ثلاث إلى أربع مباني متصلة بشبكة أنفاق مليئة بالأسلحة، تتواجد بالقرب من سوق حي الشجاعية.

وشنت القوات الخاصة الإسرائيلية، معزّزة بوحدات مدرعة ووحدات هندسية، هجوما منسقا على مبنيين حيث قتل وأصيب بعض الجنود حسب رواية نفس المسؤول. فيما توجهت وحدات عسكرية أخرى بقيادة قادتها إلى المكان للمساعدة في انتشال القتلى والجرحى، مخافة أن يقوم مقاتلو حماس بسحبهم إلى داخل الأنفاق، إلاّ أن رجال وحدات الإنقاذ تعرضوا بدورهم إلى النيران حيث أصيب عدد منهم بفعل الانفجارات التي استخدمت في المعركة والتي استمرت لساعات طويلة.

وقد صرّح مسؤول في جيش الدفاع الإسرائيلي قائلا: "لقد كانت عملية معقدة للغاية، عرفت إطلاقا مكثفا للنيران باتجاهات مختلفة وبمختلف الأسلحة." مضيفا أن

> **تدهور للأوضاع في غزة في ظل فيضانات ونقص في الدواء والغذاء وتفشي الأمراض الفتاكة في كل مكان**

مقاتلي حماس في الشجاعية كانوا يتوفرون على طائرات مسيرة متفجرة، وقذائف صاروخية، وبنادق صيد، وعبوات مفخخة .

وجاء الكمين على الرغم من الادعاءات اليومية للجيش الإسرائيلي بأنه على وشك السيطرة الميدانية على معاقل حركة المقاومة العسكرية في شمال غزة، حيث يزعم جيش الدفاع الإسرائيلي على أنه قتل حوالي 350 فردا مقاتلا من عناصر كتائب عز الدين القسّام بحي الشجاعية لوحده.

وقد ظهر العقيد الملازم "تومر جرينبيرج" كشخصية بارزة في الساحة الإعلامية بعد هجوم السابع من أكتوبر، حيث وصف، في مقابلة أجريت معه، عن كيفية إنقاذه لتوأمين رضيعين بعد مقتل والديهما على يد مقاتلي حماس بكفر عزة، عقب انطلاق أول عملية لهجوم طوفان الأقصى.

وصرّح مسؤول في جيش الدفاع الإسرائيلي: "إن ما دفعناه في هذه المعركة (الشجاعية) هو ثمن باهض جداً." وأضاف: " إنّ قاداتنا يتواجدون على جبهة القتال، إنهم يقودون الجنود ويشاركون بالقتال من داخل الجبهة."

*ساهمت وكالات إعلامية عالمية إلى جانب الغارديان في هذا الروبورتاج التقرير.

الفقيه التكنوقراطي

خالد البكاري

"إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذه بحظ وافر" حديث نبوي شريف.

اعتمد كثير من علماء الدين والفقهاء على هذا الحديث، لتشييد سلطة أخلاقية، ومرجعية داخل المجتمعات الإسلامية، لكن البعض منهم لا يعمل بمقتضيات وتكاليف هذا الحديث، الذي كما يمنح هذه السلطة الرمزية، فإنه بالمقابل يجعل من مسؤولية العلماء الإبلاغ عن الموقف الشرعي من النوازل، مجردا من نوازع الهوى، ومن الخوف عن قول الحق، ومن ابتغاء رضا الحاكم أو صاحب السلطة، كما يجعل القيمة الاعتبارية للعالم تسمو كلما ابتعد عن شهوات الدنيا، ومظاهر الإثراء والترف.

يريد بعض علماء الدين أن يحتفظوا بمكاسب "العلماء ورثة الأنبياء"، لكنهم يستنكفون عن أن يكونوا بالفعل ورثة للأنبياء في دعواتهم للتوحيد الحق، المنافي لأي تأليه رمزي للحاكم، وفي قول الحق ونصرة المظلوم، والسعي لإقامة مجتمع العدل والفضيلة، ومقاومة الظلم والفرعونية والقارونية.

تبرز السلفية المدخلية عنوانا بارزا للتحول من "العلماء ورثة الأنبياء"، نحو "العلماء جزء من الماكينة الإيديولوجية للسلطة والهيمنة".

في ما يحدث في فلسطين المحتلة شواهد على هذا الانحراف، فقد انبرى علماء التوجه المدخلي، للقدح في المقاومة، من مدخل الدعم الذي تتلقاه من إيران وحزب الله "الرافضيين"، ولا فائدة من محاججتهم حول مسؤولية الحكام السنة في اضطرار حماس لقبول أو طلب المساعدة الإيرانية، بل فقط يمكن الاكتفاء بتذكيرهم بفتوى علماء السلفية الوهابية في جواز الاستعانة بالكافر لرفع ظلم المسلم لأخيه المسلم، بمناسبة غزو العراق للكويت، فكيف يجوز الاستعانة بالكافر ضد المسلم السني، ولا يجوز الاستعانة بالمسلم الشيعي لمقاومة الاحتلال الصهيوني؟

> **فإذا كانت طاعة الحاكم المتغلب بالسيف واجبة، فإن حماس وفق هذا التبرير بدورها في مرتبة الحاكم المتغلب في غزة، مما يوجب طاعتها**

يهاجم السلفي المدخلي المقاومة الفلسطينية بسبب ما يدعيه خروجها عن ضوابط السنة، ودون أن تتحداه في الإتيان بالدليل عن انحراف المقاومة العقدي، تكتفي بطلب موقفه مما يقع في بلده من مواسم ترفيه ورقص وغناء، مما تعده مرجعيته في مرتبة الكفر، فيجيبك بأننا أمرنا بطاعة الحاكم، وعدم الخروج عليه، وتوقيره.

ورغم سخافة هذه الحجة التي يسهل بيان تهافتها شرعا وعقلا، تنبهه إلى التناقض في كلامه، فإذا كانت طاعة الحاكم المتغلب بالسيف واجبة، فإن حماس وفق

صورة من توليد الذكاء الاصطناعي

هذا التبرير بدورها في مرتبة الحاكم المتغلب في غزة، مما يوجب طاعتها. (طبعا نحن لا نعتبر حماس متغلبة بالسيف، ولا نعتبر أصلا أن هذا الموروث من الفقه السلطاني له كفاية تفسيرية للسياقات المعاصرة).

إن السلفي المدخلي أقرب إلى أن يكون مرتزقا، يسهل عليه نقل البندقية من كتف إلى أخرى، فإذا كانت طاعة الحاكم المتغلب واجبة، فهذا يعني أو ولاءه ليس للحاكم في شخصه أو علمه أو تقواه، بل للسلطة التي يحوزها، فإذا انقلب عليه حاكم آخر، وحازها، فإنهم سيصطفون مع الجديد، ويخلعوا بيعة القديم.

أي منطق هذا؟ يحرم الخروج على الحاكم المتغلب، ويعتبر ذلك كفرا، ولكن إذا نجح الانقلاب، تحول "المتمرد" الكافر بخروجه عن ولي الأمر، إلى ولي أمر للمسلمين وجبت طاعته؟

ليس السلفيون المدخليون وحدهم في هذا التلاعب بالدين لخدمة مصالحهم، وتقديم التبريرات الشرعية للحاكم، بل ثمة أجهزة "علمائية" كثيرة، تقوم بهذه الأدوار إما لصالح الحاكم المحلي، أو لصالح دولة تقدم التمويل لهيئة دولية أو إقليمية للعلماء.

إن صنيعهم هذا، هو قريب مما يقوم به التكنوقراطيون، الذين لا رؤية لهم ولا مشروعا، بل يضعون خبراتهم التقنية لإنجاح وأجرأة أي مشروع، أو لتبرير سياسة واختيارات معينة، ولا يهمهم أن تكون الحكومة اشتراكية أو رأسمالية، أو محافظة، أو ليبيرالية، فلديهم جواب تقني يوافق الجميع، بل تجد التكنوقراطي يبرر سياسة ما، ثم هو نفسه بعد مدة يبرر سبب الاستغناء عنها.

يتحدث كثيرون بحسن نية أو لأغراض ما عن ضرورة أخذ الموقف الشرعي الديني بعين الاعتبار في أي سياسة داخلية أو خارجية، ارتبطت بالاقتصاد أو التعليم أو الثقافة، ولكن هل كل ما يقدمه علماء الدين والفقهاء "الموظفون" (تحتمل عدة معان) في أجهزة رسمية، أو الموالون للسلطة (وينطبق الأمر حتى على المقربين من الأحزاب) هو الموقف الشرعي المجرد، أم أنه فتوى "تكنوقراطية"؟ بمعنى أنه لا يبين الموقف الشرعي، بل يقدم الخبرة "الفقهية" لمن يطلبها، ويدفع مقابلها امتيازات.

امسح للاستماع
للبودكاست

العربية في يومها!

يمثل الاحتفال السنوي الذي أرسته الأمم المتحدة للاحتفال بلغاتها الرسمية المعتمدة داخل هيآتها المختلفة تقليدا رمزيا محمودا. تنشأ أهمية رمزيته من هذه اللقاءات والمنتديات الأدبية والفكرية التي تقيمها البلدان الناطقة بهذه اللغات. وكما هو معلوم، يأتي الاحتفال بالعربية مع تاريخ إعلانها لغة رسمية في هذا المنتظم الدولي. ولا يقتصر الاحتفال، كما قد يتبادر إلى الذهن، على العربية وحدها، بل يشمل أيضا لغات هذه المنظمة الرسمية؛ أي الإنجليزية والروسية والصينية والإسبانية والفرنسية. وعلى النهج ذاته سارت دول عديدة، إذ أرست أياما وطنية، بل أسابيع أحيانا، للاحتفال بلغاتها المحلية أو الوطنية.

ولأن هذه الأيام تشهد الاحتفال بلغة الضاد، فلا بد من الوقوف، ولو من خلال بعض الأمثلة، عند واقع لغة مدارسنا وإعلامنا وإبداعاتنا وخطاباتنا ومؤسساتنا الرسمية وغير الرسمية.

ليس المقصود هنا إعادة أسطوانة الندب المشروخة، تلك التي تقول بوجود مؤامرة رسمية تعمل على إقبار اللغة العربية، أو وجود سياسة ممنهجة لإضعافها، أو قيام لوبي منظم يخدم صالح لغة و/أو لغات أخرى. بات هذا الأمر معروفا، بل مقبولا (مع الأسف الشديد). إن المرء ليتساءل، حقا، عن خفوت جاذبية هذه اللغة التي كانت ذات زمن مبعث فخر لدى العرب، ولدى غيرهم: هل العيب في اللغة، أم في أهلها الذين يأتوا يجهلون "الدر الكامن في أحشائها"، بتعبير الشاعر حافظ إبراهيم؟

الأمر ليس صدفة إذا. ثمة ما يجعل الدولة والنخب، وحتى المجتمع، مسؤولا عن 'العقم' الذي رميت به لغة الضاد. لا شك أن حافظ إبراهيم كان محقا، حين استعمل فعل 'رمى'، الذي يعني، من بين دلالات أخرى، التلفيق والاتهام الكاذب.

على سبيل المثال، هناك من يدعي أن هذه اللغة عاجزة- أو متثاقلة- عن مواكبة الابتكارات العلمية والإبداعات الأدبية. وهناك من يزعم أن ارتباطها بالمقدس يربك تطورها الطبيعي شأنها شأن باقي اللغات، لأن المقدس خالص يرفض اختلاط الدخيل بها، وينكر عليها الانفتاح على العالم. وهناك من يرى، بيقين قاتل، أن الكتابة والخطابة والتعليم بلغة أخرى أيسر وأهون من مكابدة تجديد العربية وتثوير معجمها وتطوير قواعدها، الخ. والحق أن هناك اجتهادات حميدة في مجال تطوير اللغة العربية، لكنها تبقى حبيسة رفوف المكتبات.

قد يتساءل المرء عن مصير بعض الاقتراحات الرامية إلى النهوض بالعربية، التي هي اللغة الرسمية في اثنتين وعشرين دولة: لماذا لا تُفَعَّل هذه الاقتراحات، وبعضها دستوري، لإحيائها والنهوض بها؟ هل الأمر يعود إلى قناعة سياسية خفية بأن العربية توشك أن تموت، كما قال أحدهم؟ قد تنطوي مسألة الموت هذه على جزء من الحقيقة التي تفيد أن تطوارات التكنولوجيا والذكاء الصناعي، التي تسمي الأشياء بمفردات لغاتها، ستنتهي ذات يوم إلى إقبار لغة الضاد التي لا تساهم في هذه التطورات إلا بمساهمة ضئيلة تكاد لا ترى.

قد يبدو الأمر على هذا النحو. لكن العربية 'كانت في يومها'- بالتعبير العامي المغربي- حين كانت تنتج العلوم والآداب والفكر بمفرداتها، وهي لا تبدو عاجزة حتى اليوم عاجزة عن إحياء ذلك الزخم الماضي الذي جعل منها ذات زمن لغة وسيطة بين اليونان القديمة والعالم الحديث، وبين عوالم الغرب والشرق. بل إنها قادرة على أن تعبر عن واقعها بفصاحة فريدة وبلاغة نادرة. ولنا في عبد الرحمان منيف نجيب محفوظ ومحمد شكري ومحمود درويش والطيب صالح وسليم بركات ولائحة طويلة من الأدباء أمثلة ناصعة لهؤلاء المبدعين الذين أوصلوا التعبير الأدبي المعاصر إلى الأوج وعرفوا به عالميا عبر العربية نفسها.

لا يكمن مأزق العربية اليوم في عجزها عن مواكبة تطورات العصر، كما يزعم البعض، وإنما في السياسات والمواقف من المدرسة والجامعة، ومن نهضة العلم والأدب الفكر والفن... أقول السياسات والمواقف، لأن الأمر لا يتعلق بالحكومات فحسب، بل حتى بالمجتمع الذي يظن أن تعليم الأبناء والبنات باللغات الأجنبية هو الذي يضمن القوت في المستقبل. وبما أن هذه السياسيات والمواقف ما تزال مستمرة، فإن جدوى الاحتفال بيوم العربية العالمي سيبقى مجرد مناسبة عابرة لا قيمة له، ولا نفع يرجى منه.

محمد جليد

امسح للاستماع للبودكاست

زفزاف يتوج قراءه

توج قراء مغاربة بجائزة محمد زفزاف للقراءة، في دورتها الأولى، وهي جائزة تهم تقديم أعمال الراحل الأدبية كتابة وصوتا وتسجيلا وتصويرا.

وقد توج بهذه الجائزة، التي تشرف عليها المديرة الجهوية للثقافة بجهة الدار البيضاء سطات وشبكة القراءة في المغرب ومكتبة القراءة للجميع، كل من يوسف كطابي من القنيطرة، في صنف أحسن نص يقدم كتابا لمحمد زفزاف، وأوشن حمزة، من فم الحصن، في صنف أحسن فيديو يقدم عملا لزفزاف، ولبنى عبد اللوي من تاونات، في صنف أحسن قراءة صوتية لإحدى نصوص الأديب ذاته.

وحصل خوان أنفرونس من الدار البيضاء على تنويه لجنة التحكيم، في صنف أحسن نص لتقديم كتاب من كتب محمد زفزاف، وكوثر عمراني في صنف أحسن فيديو يقدم كتابا من كتبه، وياسين الحراق من طنجة في صنف أحسن قراءة صوتية لنص من نصوصه.

وأفاد تقرير الدورة الأولى من الجائزة أن الجهة المنظمة توصلت بـ130 مشاركة، خضعت لتحكيم لجنة ترأسها الناقد سعيد الفلاق، وضمت كلا من الإعلامية غادة الصنهاجي والكاتبة فاطمة ياسين ومفتشة اللغة العربية سابقا نجية مختاري.

مكونات مغربية ضمن تراث إسيسكو

دخلت ثمانية مكونات مغربية لائحة التراث اللامادي لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة، بعدما صادقت لجنتها الخاصة بالتراث على إدراجها خلال اجتماعها الأخير هذا الأسبوع بالعاصمة الرباط.

وأوردت وزارة الشباب والثقافة والتواصل أن هذه المكونات تتكون من صناعة الحلي بالخرز، ونسج الحايك والبرنوص بفجيج، والدباغة، وفن فروسية ماطا، وخزف آسفي، والتلي، وأغاني ورقصة عواد آيت بعمران، واللعبة التقليدية "السيك". كما أفادت الوزارة أن إدراج هذه العناصر يرفع رصيد المغرب من العناصر المسجلة في قائمة الإيسيسكو إلى أربعة وخمسين عنصرا، لتحتل الرتبة الأولى بين الدول الإسلامية من حيث مكونات التراث المسلجة لديها.

من جهة أخرى، شهد اجتماع للجنة التراث في العالم الإسلامي لمنظمة الايسيسكو انتخاب المكتب الجديد للسنوات الأربع القادمة برئاسة المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية نائبا للرئيس، وجمهورية السنغال مقررا.

نموذج قيمي بديل

أمنة ماء العينين

لقد بصم النموذج الليبرالي الإنسانية لفترة معتبرة من الزمن، وقد تمكن الغرب بريادته الاقتصادية والعسكرية والعلمية أن يفرض تفوقه القيمي عبر تبنيه لمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان كفلسفة أفرزتها مرحلة ما بعد الحروب العالمية المدمرة

لا يهمني اللحظة الخوض فيما إذا كانت جينيالوجيا النموذج الحقوقي الليبرالي مبدئية بالأساس منذ نشأتها تهدف إلى حماية الإنسان بوصفه إنسان، أم تهدف لخدمة مصالح الإنسان الغربي وتكريس تفوقه، ما يهمني اللحظة هو محاولة قراءة مآلات هذا النموذج بعد أن تسيَّد الخطاب الأخلاقي لفترة طويلة من الزمن.

لا أحد ينكر أن النزعة الغربية المركزية المعتَّدة بمنجزها الديمقراطي، استطاعت أن تُصدِّر نموذجها وتُسوِّق له كحلم إنساني تناضل لبلوغه شعوب الأرض، حتى أن النموذج تمت ترجمته إلى الإتفاقيات الأممية الأساسية التي اكتسبت صفة الكونية حتى حصنت نفسها بالطبيعة والبداهة، أي أن كل انسان متحضر في هذا العالم، من الطبيعي والبديهي أن يكون نصيرا للنموذج المتسيد وإلا فهو متخلف وغير طبيعي.

وقد ظل الراديغم المؤطر لهذا النموذج ينهل من مركزية الإنسان وأولوية الإنسان وحُرمة نفس الإنسان وسلامته وحريته، وهو ما جعله جاذبا وملهما ومتفوقا، حتى صارت الاتفاقيات الدولية التي تبلورت في كنف هذا النموذج قادرة على انتزاع صفة السُّمو على كل التشريعات المحلية، وتدعو إلى التسريع بتعديلها للملاءمة والمواءمة، إن المعنى الثاوي وراء ذلك هو أن شعوب الأرض كلها بخصوصياتها وتاريخها وحضاراتها عاجزة عن انتاج ما يفوق مخرجات هذا النموذج قيميا وأخلاقيًا، وأنها مجبرة على الانصياع له والتسليم بنبوغه، والشواهد والمبررات ظلت دائما تكمن في مستوى عيش الشعوب الغربية ورفاهيتها واحترام كرامتها وحقوقها في ظل أنظمة تستند إلى معايير الديمقراطية المرجعية.

ما الذي يحدث اليوم؟ وما مآلات هذا النموذج؟

لقد بدت مؤشرات تآكله الداخلي تتعاظم منذ فترة، حيث فقدت القيم الديمقراطية ذات المرجعية الليبرالية مناعتها في الغرب لصالح نزعات مادية تبحث عن تحقيق مصالح الإنسان الأبيض ولو على حساب غيره من البشر، وهو ما ترجمه الصعود اللافت والمعبر لليمين المتطرف في الغرب، كما عكسته الانتهاكات المتكررة لحقوق الأقليات ورفض اللاجئين وتصاعد الإسلاموفوبيا ودعم الديكتاتوريات دفاعا عن المصالح الذاتية، والتآمر على توق باقي الشعوب للحرية والديمقراطية، كما أن النزوع الفرداني وتغول حقوق الفرد على الجماعة أفرز تهديدا حقيقيا للمعايير والقيم الإنسانية التي حمت وجود البشر على كوكب الأرض.

هذا النموذج الذي يزداد هشاشة تلقى اليوم رصاصة الرحمة بإطلاق عملية طوفان الأقصى يوم 7 أكتوبر 2023. لقد جرف الطوفان في طريقه أشياء كثيرة ستتضح مع الزمن، وأبرز ما تم تجريفه هو هذا النموذج الذي أثبت إفلاسه الأخلاقي وعدم مبدئيته وتجريده، كما كسر وهم انحيازه للإنسان وهو يشاهد متفرجا ومتواطئا تجريد الإنسان الفلسطيني من إنسانيته، بل وحتى مما يحظى به الحيوان في هذا النموذج المنافق.

> **لم يعد النموذج القيمي الغربي قادرا على التصدر بعدما فقد بريقه بسبب احتضانه لإسرائيل**

لقد تفكك هذا النموذج أمام صور استشهاد الأطفال والرضع وصور ارتعاش أجسادهم الهزيلة من هول ما عاشوه بعدما تم تسليمهم بشيك على بياض لآلة عنصرية إجرامية لا تُبقي ولا تذر.

لم يعد النموذج القيمي الغربي قادرا على التصدر بعدما فقد بريقه بسبب احتضانه لإسرائيل وعجزه عن التصدي لهمجيتها، وبذلك فالبشرية بحاجة أكثر من أي وقت مضى لنموذج أخلاقي وقيمي جديد، يعيد إليها توازنها ويمنحها استحقاق التفوق على باقي الكائنات التي لا تتسم لا بالعقل ولا بالحكمة ولا بالتبصر، ومع ذلك لم تتسبب في مثل ما يحدث اليوم من إبادة وجرائم ضد الإنسانية في غزة

امسح للاستماع
للبودكاست

مجتمع الخوف

ياسين اعليا

هل تحول مجتمعنا إلى مجتمع خوف؟

هل تطور مستوى فقدان الثقة إلى حالة مرضية رُهابية تتمدد وتنتشر بين المواطنين؟

ما دفعني إلى طرح هذين السؤالين هو المشاهدات اليومية والقراءات المتأنية لواقع الحال والتغيرات المتتالية التي يعيشها المجتمع المغربي. لقد بدأت تمظهرات مجتمع الخوف إثر الردة السياسية التي شهدناها عقب ما سمي بالحراك العربي، والتي أعادت رسم الخريطة السياسية والنخب المتحكمة في مراكز القرار وفق مقاربة جديدة تجُبُّ ما قبلها.

فبعدما كان التدافع السياسي متاحا وفق خطوط حمراء معينة توافق الجميع حولها، صار التدافع غير ممكن، والنظرة أحادية للواقع السياسي، والتضييق أكبر، وحلّ الفرض محل التفاهم، والقمع محل الاستماع، وساد خطاب التهديد الضمني وتوسعت الخطوط الحمراء لتصير مساحات أكثر انتشارا، وتمكن البعض من سلطة رسمها وتأويلها، والأنكى من كل هذا المحاسبة على أساسها.

إثر كل هذا، شاءت الأقدار أن تخدم هذا التوجه في فترة الجائحة، فخضعت الأصوات المقاومة، وتم تجريف بقايا الأحزاب السياسية والمركزيات النقابية المنخورة بالوصوليين، وفرضت النخب الانتهازية توجهها مستعلمة أحط الأساليب السياسية، ومعتمدة على الزواج الكاثوليكي بين السلطة والمال، وتقوت هذه الرابطة حد التماهي والتشريع. النتيجة الحتمية لهذا الوضع هو الصمت والحديث من تحت الأكمام، وابتلاع الأغلبية لسانها، وخروج النخب من مؤسسات الوساطة والتمثيلية، وترك الساحة للتافهين وعديمي الخبرة ليخوضوا في الشأن العام، وتجييش الذباب الإلكتروني في مواقع التواصل، وانحطاط مستوى النقاش العام، وتقديم الهوامش على الأولويات في السياسات العمومية...

صار المواطن خائفا في كل أفعاله. عندما يذهب إلى عمله يخاف من رب العمل، والمقاول يخاف من سلطة المراقبة الضريبية وموزعي الرخص الإدارية، والصحفي يضع رقابة ذاتية، والمسؤول لا يقوم بتفعيل اختصاصاته خوفا على منصبه وتحسبا لمحاسبة جائرة من الأعلى منه درجة، وهكذا دواليك حتى صرنا نخاف من سلطة البقال والجزار والخضار على قفة معيشتنا اليومية. صرنا نعيش انكسارا داخليا يُنذر باقتراب وقوع الكارثة.

> **يجب أن يعرف الجميع أن ردة فعل الخائف مهما طال جُبْنُها، تتحول إلى غضب قادر على إحراق الأخضر واليابس**

إن ما يقع في قطاع التعليم العمومي المعلق منذ أكثر من شهرين شكل من أشكال الكارثة التي نحذر من انفجارها. فقرار السلطة الوصية فرض مرسوم النظام الأساسي على الأساتذة الذين يشكلون القاعدة في القطاع، والإمعان في إهانتهم وتقوية مواقع المراقبة والتحفيز التحريضي لممثلي سلطة المراقبة وتوسيع المهام والواجبات شكل مما سردنا عن آليات الاشتغال داخل الإدارة العمومية.

انطلق هذا الفعل من تبخيس لقدرات الأساتذة وتحميلهم مسؤولية فشل منظومة تعليمية راكمت سنوات من الخطط الإصلاحية التي تعاقب عليها نفس المخططون المسرّيحون داخل مكاتبهم المكيفة، والبعيدون عن واقع المدرسة، بل أكثر من ذلك، منفصلون عن واقع مجتمعي مختلف من حيث القيم والأفكار والمبادئ عن عالم الطبقات الغنية والمجتمع المخملي.

لا أطلق حكما دونما دليل، بل بلغني من مصادر متعددة، وسمعت بشكل مباشر تقييم المخطّط الفعلي لمبادرة النظام الأساسي وبرنامج المدرسة الرائدة بناء على دراسته لعينة من الأساتذة لفائدة مؤسسة مالية دولية، كلاما جارحا ومنقصا من قيمة الأستاذ المغربي، علما أن الدارس لم يكن يوما داخل أسوار المدرسة الوطنية تلميذا أو طالبا أو حتى مدرسا.

يجب أن يعرف الجميع أن ردة فعل الخائف مهما طال جُبْنُها، تتحول إلى غضب قادر على إحراق الأخضر واليابس إذا ما وجدت المحفز والمؤطر. ردة الفعل هاته تختزن سنوات الغضب والرغبة في الانتقام من الإهانة والإصرار على استرجاع الكرامة.

ما يقع بالون اختبار لتجربة غياب الوسائط، وغضب الشارع التعليمي لم يعد يقبل بالنقابات التي فقدت المصداقية، ولا وعود الوزارات وعهودها المغلظة بمحاضر التوقيع، ولا دعوات مَنْ أجهز على الثقة للوثوق بمؤسساته الرسمية قادرة على طمأنته. الذاكرة الجمعية لا تنسى، والعاقل مهما بدا خائفا، فإن مستوى وعيه لم ينطفئ بل يواريه فقط، فحذار من مجتمع يكسر حاجز الخوف.

امسح للاستماع
للبودكاست

سعيدة العلمي.. عن حرية التعبير

سارة سوجار

تم اعتقال المدونة المغربية، سعيدة العلمي، المعروفة بدفاعها عن المعتقلين السياسيين، في مارس 2022 بسبب تدويناتها على منصة فيسبوك، وتمت متابعتها بتهم عديدة، منها "إهانة موظفين عموميين خلال أدائهم لمهامهم"، والحكم عليها حبسا نافذا، ما خلق جدلا حقوقيا واسعا في المغرب وخارجه، حيث اعتبر حقوقيون أن العقوبة قاسية وغير متناسبة، خصوصا أن المعنية بالأمر لا سوابق لها وتعبر عن مواقفها وأرائها بشكل حضاري وسلمي.

كما أن الكثير من أرائها التي عبرت عنها تجد انتشارا بين المدونين والنشطاء على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي.

> **يجب ألا تكون العقوبة سالبة للحرية، ويجب أن يتم فحصها ضمن إطار حرية التعبير**

وعلى الرغم من اختلاف اللغة والأسلوب، إذ أن لكل فرد لديه طريقته، خطابه، واستراتيجيته الخاصة في الدفاع عن حقوق الإنسان، يتفق المجتمع الحقوقي على أننا يجب ان ندافع جميعًا عن حقنا في التعبير، متنوعين في وسائلنا واساليبنا السلمية ولكن متحدين في المبدأ.

ومن المعلوم أن حدة الخطاب الاحتجاجي مرتبط أساسا بحدة الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المواطنات والمواطنون، ولذا فإن واقعًا مليئًا بالظلم والقهر لا يمكن أن ينتج خطابًا "مهذبًا" لا يعكس حجم المعاناة والظلم. ومهما اشتدت حدة الخطاب، يظل كلامًا يندرج ضمن حرية التعبير ولا ينبغي أن يصل إلى حدوث انتهاكات لحقوق الأفراد وتعريضهم لعقوبات سالبة للحرية.

وهذا الاختلاف في الخطاب لا يتنافى مع المبدأ العام في ضمان حرية التعبير والحق في الدفاع عن حقوق الإنسان للجميع دون تمييز، ولذلك، يُعتبر اعتقال السيدة سعيدة العلمي انتهاكا لحرية الرأي والتعبير المكفولة لها دستوريًا، وفي المواثيق الدولية التي صادق عليها المغرب.

وحتى في حال اعتبرنا فرضا، أن الخطاب قد يتضمن إساءة إلى شخصية عمومية أو مؤسسة، يجب ألا تكون العقوبة سالبة للحرية، ويجب أن يتم فحصها ضمن إطار حرية التعبير، وقد سبق للمحكمة الابتدائية بالصويرة في المغرب، أن أصدرت بتاريخ 2023/01/04، حكمًا قضى ببراءة ناشط حقوقي من جنحة إهانة هيئات منظمة على خلفية تدوينات نشرها في صفحته الشخصية على موقع فايسبوك، إذ اعتبرت المحكمة أن عبارات النقد التي استخدمها المتهم، لا تخرج عن إطار حرية التعبير والرأي المكفولتين دستوريًا ودوليًا.

ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في باريس في 10 دجنبر 1948، على حق كل إنسان في التمتع بحرية الرأي والتعبير. ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل، وفي استقاء الأنباء والأفكار ونقلها للآخرين بأي وسيلة كانت، دون أية قيود (المادة 19). فرغم اختلاف الآراء بشأن الخطاب، يجب الحذر من فرض عقوبات تُحرم أي شخص من حريته، ويجب الغاء جميع العقوبات السالبة للحرية والتنصيص على مقتضيات قانونية تحقق ضمان حرية التعبير دون المساس بكرامة المواطنات والمواطنين.

وكمدافعات ومدافعين عن حقوق الإنسان، فإننا نعارض بشدة خطاب العنف والكراهية والتشهير والتمييز والعنصرية، لكننا نؤكد أيضا أن انتقاد المسؤولين العموميين أو السياسات العامة، طالما أنه لا يحرض على العنف ضدهم أو يلحق بهم ضررًا، يدخل ضمن إطار حرية التعبير.

هو المبدأ نفسه الذي أشار إليه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، في ماي 2019 حين قال إن "التصدي لخطاب الكراهية لا يعني تقييد أو حظر حرية التعبير. بل يعني منع تصعيد خطاب الكراهية من أن يتحول إلى شيء أكثر خطورة، لا سيما التحريض على التمييز والعداوة والعنف، وهو أمر محظور بموجب القانون الدولي."

لذلك فان الدفاع عن سعيدة العلمي والمطالبة بالإفراج عنها وعن جميع المعتقلين السياسيين ومعتقلي الرأي هو مطلب مشروع ومبدئي دفاعا عن حرية التعبير والرأي والاحتجاج في المغرب.

امسح للاستماع
للبودكاست

the voice
صوت المغرب
معلومة تنفعك
thevoice.ma

فليذهب إلى مكان آخر

لم يعد خافياً على أحدٍ أن العلاقات المغربية الإسرائيلية قديمة قدم إسرائيل نفسها، وربما قبل ذلك، وهي كجبل الجليد، الظاهر منه أصغر ألف مرة مما هو خفي. إنها علاقة ثعلبية تظهر وتختفي، وهي في العمق علاقة غير مباشرة فرضت على المغرب لاعتبارات سياسية دولية مرتبطة بانخراط المغرب في إكراهات الأجندة الغربية بشكل عام، والأمريكية بشكل خاص منذ كان المغرب تحت الحماية الفرنسية، ولا يمكن للمغرب التخلص منها طالما ظل جزء من تلك الأجندة، بل إن المغرب اقترف في السنوات الأخيرة خطوات سياسية واقتصادية وأمنية مؤسساتية زادت من شدة طوق هذه العلاقة حول عنقه، حتى صارت تهديداً وجوديا تقريبا.

لكن هذه العلاقة التي نتحدث عنها بقيت مجرد علاقة فوقية، رسمية، فاقدة للعمق الشعبي والدعم المجتمعي، لا يؤمن بها وبجدواها وشرعيتها إلا النزر القليل.

سطوة هذه العلاقة على وضعنا الداخلي والخارجي زادت بشكل مهول حين جعلناها محدداً في معركة استكمال وحدتنا الترابية، وقد تبين ذلك بوضوح من خلال الوضع الذي وجدنا فيه أنفسنا بين واجب الدفاع عن القانون الدولي، والقانون الدولي الإنساني وحق المدنيين الفلسطينيين في دولة مستقلة، وحقهم في الحماية الدولية وضرورة التصدي لعملية الإبادة الجماعية التي يتعرضون لها؛ وبين إكراهات الحفاظ على موقف أمريكي هش وغير مضمون لا يتعدى اعترافاً بسيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية من طرف رئيس أمريكي سابق هو اليوم رهن التحقيق والمتابعة دون أن يستطيع الوفاء بما وعد به من خطوات، ليس أقلها فتح قنصليات أمريكية في العيون أو الداخلة وتوجيه الاستثمارات الأمريكية نحو المنطقة والضغط على الحلفاء لاقتفاء أثر واشنطن، بينما تمارس علينا الحكومة الأمريكية الحالية لعبة ابتزاز واضحة من خلال تقاربها الملغوم مع من يعتبرون أصل وسبب الداء في المنطقة منذ نصف قرن على الأقل، مثلما لا أظن أن جرأة البوليساريو على قصف مناطق في عمق الأقاليم الجنوبية للمملكة بعيدة عن موافقة واشنطن.

موقف المغرب الرسمي من القضية الفلسطينية وما يقع في الأراضي المحتلة حاليا، يضعه بين كماشة رفض شعبي لم يتغير منذ الاستقلال، وسكوت رسمي مبني على هاجس الحفاظ على هذا الاعتراف غير الموثوق به بوحدتنا الترابية.

يتكرر هذا الوضع في كل مرة تتجرع فيها إسرائيل وتطغى وتعيث فساداً في فلسطين، حيث تعود المطالبات الشعبية بضرورة قطع العلاقة بين الرباط وتل أبيب، وطرد السفير الإسرائيلي من الرباط وما إلى ذلك، وتستجيب الرباط لهذه المطالبات بقدر قد يزيد أو ينقص حسب نسبة ضغط الشارع. وبمجرد أن تهدأ الأمور تعود الدوائر الرسمية في البلدين لعملية إحياء وتعزيز هذه العلاقة التي لم يثبت لحد الآن أن المغرب الشعبي استفاد منها بأي شكل من الأشكال، مثلما لا يعتبر المغرب فيها طرفا رابحا بالقدر الذي تربح به تل أبيب... وهكذا ظل المساران مرتبطان بعضهما ببعض، بشكل سلبي وعقيم جدا ، فلا نحن دعمنا القضية الفلسطينية بما يكفي لاسترداد حقوق الفلسطينيين، ولا نحن حسمنا العلاقة مع إسرائيل بما يكفي للذهاب قدما في الاضطلاع بدورنا المفترض في الأجندة الأمريكية، ولا نحن ضمنا الدعم الأمريكي والغربي والدولي عموما، بما يكفي لطي صفحة استرجاع أقاليمنا الجنوبية بشكل نهائي وحاسم.

لقد بقينا نراوح مكاننا بما يعرقل بشكل خطير، مسارنا التنموي أولا، بسبب استمرار النفاق الغربي البنيوي عبر التشكيك الأوروبي والأمريكي المقنع في سيادتنا على صحرائنا مثل توالي الدعوات في المحاكم الأوروبية ضدنا بهذا الصدد، منها ما نربحه ومنها ما نخسره في رحلة قانونية سيزيفية لا تنتهي، ويهدد، ثانيا وفي كل مرة، سلمنا الداخلي من خلال الانتفاضات الشعبية ضد الصلف الإسرائيلي، والتي تخلق حالة تراكمية من الاحتقان وتؤسس لميلاد أجيال من الغاضبين لا يعرف أحد ما ستكون عليه تعبيراتهم السياسية على المدى القصير أو المتوسط.

لقد حان الوقت بالنسبة للمغرب في تصوري للحسم في هذا المأزق السياسي، وتجاوز التعاطي العاطفي مع هذا الوضع وذلك عبر ما سأسميه "فصل المسارات" بعضها عن بعض، والتحرر من شراك أجندة دولية لا تعتبر مصالحنا الحيوية ذات أهمية كبيرة فيها، حيث يجب أن لا تبقى مواقفنا مرتهنة لأجندة غير أجندتنا، وأن نطور مواقفنا ونرسم مسار تحالفاتنا وفق ما تقتضيه مصالحنا الخاصة، من خلال بلورة خريطة للعلاقات مع كل من إسرائيل والفلسطينيين والأمريكيين والأوروبيين والروس والصينيين والخليجيين وغيرهم دون أن تكون العلاقات بين هذه الكيانات بعضها البعض محددا لنا، لأن من العبث أن نفتح صفحة علاقات مع طرف ثانٍ يكون طرف ثالث هو المحدد فيها، ولا تكون لنا سلطة تدبيرها وفق مصالحنا الوطنية، وإلا سيصبح من الضروري إلغاء العلاقات مع إسرائيل والدول الداعمة لها بشكل تام ونهائي أو إلغاء دورنا في القضية الفلسطينية إلى حين حل القضية الجوهرية بينهما.

أليست الولايات المتحدة والعديد من دول أوروبا طرفا أيضا في الحرب على الفلسطينيين وفي الإبادة الجماعية لهم؟ فكلنا نعلم أن العلاقات مع إسرائيل ليست سوى جزء من العلاقات مع واشنطن وبريطانيا وفرنسا وغيرهم، وكلها جزء من أجندة تتجاوزنا بكثير ، وأن مجرد سحب الاعتراف المغربي بإسرائيل سيكون ضربا من الخيال والعبث إذا كان ذا طابع مؤقت ومرحلي، أما إذا كان نهائيا وقطعيا فإننا يجب أن نستعد لتداعياته على جميع الأصعدة سياسيا كانت أو أمنية أو اقتصادية، ولا أظننا على استعداد لذلك.

فالتطبيع لم يعد مجرد مبادرة سياسية، بل صار "منظمة دولية" برأسمال رمزي وسياسي ومالي هائل، والتزامات اقتصادية وضمانات نقدية كبيرة جداً، تلعب فيها الأموال القادمة من لدن المستثمرين اليهود والخليجيين، وخصوصاً الإماراتيين دوراً خطيراً جداً، وقد يؤدي الانسحاب المفاجئ أو المتسرع من سيرورة التطبيع هذه إلى كارثة سياسية ومالية تشبه تلك التي تسبب فيها جورج سوروس لماليزيا والعديد من دول شرق آسيا في سنة 1997، حين سحب ودائعه بشكل كامل مفاجئ من الشرايين الاقتصادية لتلك الدول ولم تنج من الانهيار سوى ماليزيا، بعد جهد جهيد وانكماش للاقتصاد بلغ أكثر من سبعة بالمائة سنة 1998 قبل أن يسترجع عافيته تدريجيا... وهذا موضوع المقال المقبل.

آه ، بقي أن نعرف علاقة العنوان الذي اخترناه لهذا المقال بكل ما سبق : " فليذهب إلى مكان آخر..." إنها ببساطة العبارة التي قالها رئيس ماليزيا السابق مهاتير محمد، حين قال له بعض الوسطاء أن جورج سوروس يريد مقابلته بعد كل ما قام به.

امسح للاستماع
للبودكاست

بروفايل

مصطفى الفكاك (سوينغا)

صانع محتوى

متى تتصل بالإنترنت أول مرة خلال اليوم؟

مع الفيقة، غير تانفيق كانتيشي واتساب.

ما نوع شفرة إقفال هاتفك المحمول، (رقم سري، أم رسم هندسي، أم البصمة، أم ملامح الوجه...)؟

أستعمل ملامح الوجه والرقم السري.

ما هي الشبكات الاجتماعية التي تستخدمها؟

انستغرام ويوتوب، ثم واتساب للاتصالات.

كيف تختار "أصدقاءك" والحسابات والصفحات التي تتواصل معها؟

الصراحة أختار أصدقائي في الواقع وليس في الشبكات الاجتماعية.. هذه الأخيرة مجرد مكمّل، بينما ألتقي الناي في الاجتماعات... أما الشبكات الاجتماعية فمجرد وسيلة تواصل وتبادل الرسائل...

هل تساهم في الشبكات الاجتماعية بالنشر والتفاعل أم تكتفي بالتصفح والمراقبة؟

أساهم بالنشر طبعا فأنا صانع محتوى، لكنني لا أتفاعل كثيرا في الحقيقة، وأكتفي بالمراقبة

ما نوع الصور التي تستعملها كخلفية لشاشة هاتفك؟

صور المدام والوليدات.. صور أسرتي باختصار.

ما هو تطبيق المراسلة النصية المفضل لديك (واتساب أم فيسبوك ميسنجر أم سينيال أم تلغرام...)؟

واتساب هو المفضل لدي.

هل تفضل الدردشة عبر المراسلة النصية (كتابة) أم التسجيلات الصوتية أم الفيديو؟

ها نتا تشوف، أنا أكلمك الآن عبر التسجيلات الصوتية.. أفضل التواصل عبر التسجيل الصوتي إلا إذا تعلق الأمر بطرف لا أثق فيه، عندها أكتفي بالكتابة.

هل تستعمل خدمات التبضع والأداء الإلكترونيين؟

أستعملها، لم أكن أفعل ذلك إلا نادرا لكنني مع مرور الوقت أصبحت أستعملها كثيرا.

مانويل بيليغريني

الفوز أو الخسارة و في ظروف الضغط العصيبة.. تكوينه "الإيطالي" في التدريب لم يمنعه في العديد من الأندية من تنويع خطط اللعب حسب ما يتوفر عليه من رصيد اللاعبين.. تلك نقطة قوة "المهندس" الشيلي الذي صنع بها المجد لأندية لم تكن.

مانويل بيليغريني .. مهندس إعادة الإعمار

في عام 1987، عندما كانت مباراة نهاية كأس الشيلي تقترب من نهايتها على إيقاع التعادل بين أونيفيرسيداد وكوبيرياندينو، تحت أنظار الدكتاتور الدموي أوغوست بينوشي، نزلت كرة داخل معترك فريق أونيفير .. هناك كان يقف العميد المدافع مانويل بيليغريني، العملاق صاحب التجربة الطويلة المعروف بتفوقه في الكرات العالية .. صعد معه مهاجم شاب متوسط القامة لم يكمل السابعة عشر من عمره، إسمه إيفان زامورانو .. خطف منه الكرة بمقدمة رأسه وأركنها في الزاوية البعيدة من المرمى، مسجلا هدفا ثمينا يساوي كأسا لم تكن في حسبان فريقه المغمور.

بعد يومين من مباراة النهاية، خرج المدافع بيليغريني إلى وسائل الإعلام في تصريح مقتضب قال فيه إنه لم يعد لديه ما يقدمه على المستطيل الأخضر، وأعلن اعتزاله لعب كرة القدم بصفة نهائية والتفرغ لمهنته الأخرى التي زاوج بين دراستها وبين الرياضة بنجاح باهر طيلة سنوات عديدة.. كان مهندسا مدنيا متخصصا في وضع تصاميم البنايات ودور السكن.

في أحد أحياء الطبقة المتوسطة في العاصمة سانتياغو، ولد مانويل بيليغريني ريياموني سنة 1953 .. من أصول إيطالية جاء جده مهاجرا من إقليم بوتيرا لينتشر مع عشيرته في أرض أمريكا اللاتينية الواسعة، لينتهي به المقام في الشيلي .. هناك تزوج وأشرك سلالته مع عائلة مهاجرة من رومانيا.

الطفل مانويل لم تبدو عليه علامات التفوق بين أقرانه في كرة القدم .. فقط بضع سنتيمترات زائدة في قامته كانت

> **كان مهندسا مدنيا متخصصا في وضع تصاميم البنايات ودور السكن**

تميزه داخل الملعب .. كان يلعب فقط لأن رفاقه يحتاجون صمام أمان ثابت أمام حارس المرمى لقطع الكرات كيفما اتفق.. تفوقه الأكبر كان في مساره الدراسي تحت مراقبة صارمة لأبيه لويس الذي رغب في أن يحقق ابناه مانويل وخوصي هدفا لم يستطع تحقيقه في حياته ألا وهو نيل أعلى الشواهد الجامعية.

استطاع مانويل أن يبهر أسرته في التوفيق بين الدراسة واحتراف كرة القدم في سنوات دراسته بشعبة الهندسة المدنية بجامعة سانتياغو كان قد وقع عقدا مع نادي أونيفيرسيداد سنة 1973 كان يمضي حثيثا نحو نيل شهادته العليا بموازاة مع التدرب اليومي مع فريقه ولعب مباريات حارقة نهاية الأسبوع برسم البطولة الشيلية وكأس ليبيرتادوريس .. نقصه الواضح في الجانب التقني غطت عليه شخصيته القيادية لخط الدفاع ونظرته الثاقبة لمجريات اللعب.. لقد أهله ذلك ليصبح عميدا للفريق في سن مبكرة.

في بداية الثمانينات، سيحصل مانويل بيليغريني على دبلوم الهندسة المدنية، وسيبدأ مسارا آخر.. سيستغل فترة العطل بعد نهاية الموسم الكروي في الشيلي ليعود إلى أرض أجداده.. إيطاليا. هناك في معهد كوبيرسيانو لتكوين المدربين سيحصل مانويل على ديبلوماته الأولى في عالم التدريب.

في صيف 1985، وهو يحوز دبلوم التدريب الرفيع من إيطاليا ويستعد للعودة إلى ناديه أونيفيرسيداد، تلقى دعوة من الحكومة الشيلية بصفته مهندسا مدنيا للتطوع في برنامج إعادة إعمار جنوب الشيلي الذي كان قد ضربه زلزال مدمر بمقياس ثماني درجات على سلم ريشتر، وخلف كارثة وطنية بعد انهيار معظم المنازل والمباني، وبقاء ملايين من الشيليين في العراء... عاد مانويل ونسي أمر كرة القدم مؤقتا،

الإنسانية النبيلة لرفع مظاهر الخراب وتصميم مبان جديدة تأوي المشردين ضحايا الزلزال.. يقول مانويل في حوار مع صحيفة "صن سبورت" البريطانية: "كان اختبارا حقيقيا لي على الأرض لمعرفة قيمة دبلوم الهندسة الذي كافحت كثيرا من أجل نيله بتفوق. "

الانقطاع المؤقت عن لعب كرة القدم في تلك الفترة، والتقدم التدريجي في سن الممارسة، تسببا لبيليغريني في انحدار مستواه حتى أصبح مدربه يرى في مباريات عديدة أن عميد الفريق، من الأفضل أن يبقى بجواره على كراسي الاحتياط.

عندما اعتزل المدافع بيليغريني اللعب، كانت لديه خيارات عديدة لرسم طريق المستقبل.. شهادة عليا في الهندسة وأخرى للتدريب من الصنف الأول... اختار كرة القدم بكل شهرتها وضغطها الرهيب.. كانت الميزة التي التصقت به طيلة مشواره بعد ذلك، هي الإشراف على النوادي الصغيرة وجعلها تكبر لتصبح محط التألق واحترام الجميع.. يقول أنه كان دائما يستلهم ذلك من تقنيات البناء ووضع التصاميم وإيجاد الحلول لمشاكل الحديد والإسمنت.

انطلق "المهندس" مع نواد صغيرة في بلاده الشيلي.. كان يترك في كل نادٍ شيئا للتاريخ، و يصنع حوله الاحترام بشخصيته البسيطة الهادئة.. اجتازت صورته الحدود ليصبح مطلوبا في بلدان مجاورة.. درّب في الإكوادور وبعدها حط رحاله وسط جنون الكرة في الأرجنتين.. أخرج نادي سان لوريانزو من غياهب مؤخرة الترتيب لينتزع معه في عامه الثاني لقب البطولة من بين فكي البوكاجينيور .. ومن قلب ملعب البونيونيرا الشهير.

كان ختام مشوار التدريب في بلاد الطاو، تجربة قصيرة مع الريفر بلايت، فاز فيها أيضا بلقب البطولة ولعب نهاية كأس أمريكا اللاتينية للأندية.. بعدها قطع المحيط الأطلسي نحو بلدة صغيرة في إسبانيا اسمها فياريال، ليخوض تجربة أثارت الاستغراب لكون "الفواصات الصفر" كان ناديا يعتبره متتبعو الليغا رقما هامشيا لإكمال أندية "الباريميرا"...

لكن بيليغريني سيصنع الإعجاز في زمن قصير وسيتحول الفريق الصغير بلاعبيه المغمورين إلى آلة ترعب الأندية العريقة في إسبانيا وسيصل لأول مرة في تاريخه إلى لعب المربع الذهبي لعصبة الأبطال الأوربية.

ما حققه بيليغريني مع فياريال جذب إليه أنظار النادي الملكي و"بارونه" فلورينتينو بيريز.. عقد مع ريال مدريد لمحاولة منافسة بارصا لابورتا وغواردیولا التي كانت تحصد وقتها كل شيء في إسبانيا... موسم واحد للمهندس مع الميرينكي كان كافيا ليعلن في ندوة صحفية عن استقالته من تدريب الريال بسبب عدم توافق منهجيته في العمل مع سياسة النادي بالإضافة إلى انعدام التواصل مع الرئيس بيريز بعد إقصائه من كأس الملك أمام فريق ألكوركون الصغير في سابقة تاريخية ومن الشامبيونس ليغ أمام ليون الفرنسي.

كانت أندلوسيا محطته التالية ضمن نادي مالقا الذي سيعيد معه الاعتبار لاسمه بعد أن حوله من فريق صاعد من القسم الثاني إلى متأهل لعصبة الأبطال الأوربية ضمن كوكبة الكبار في الدوري الإسباني.. تجربة ناجحة أهلته للانتقال إلى إنجلترا ليصنع نجاحا آخر مع مانشستر سيتي، وبعدها إلى تجربة أخرى في الصين ثم العودة لإنجلترا للإشراف على ويست هام وانتهاء في رحلته الطويلة مع نادي بتيس الإسباني حاليا حيث أعاده الى توهجه بعد مواسم عجاف كادت أن تعصف به الى الأقسام السفلى.

اجتماعات لحسم التفاصيل

مونديال 2030.. ثلاثة بلدان برهانات مختلفة

في ظل التباين في طريقة تدبير ملف احتضان كأس العالم ٢٠٣٠، يعقد مسؤولو الدول الثلاثة اجتماعاتهم وسط تكتم شديد حول تفاصيل توزيع المباريات وتحديد الملاعب والمدن التي ستستضيفها والتدقيق في امتلاك كل طرف للشروط الدقيقة التي يتضمنها دفتر تحملات الاتحاد الدولي لكرة القدم، وذلك استعدادا لتقديم ملف التنظيم الموحد في يوليوز ٢٠٢٤ والخضوع بعدها لزيارات لجان التفتيش التي على ضوء تقاريرها ستتم المصادقة على ملف التنظيم في اجتماع أعضاء المكتب التنفيذي للفيفا.

عند الاعلان المفاجئ للاتحاد الدولي لكرة القدم عن منح تنظيم كأس العالم 2023 للملف الثلاثي الذي ضم المغرب وإسبانيا والبرتغال، مع إجراء ثلاث مباريات افتتاحية في الأورغواي والباراغواي والأرجنتين احتفالا بالذكرى المئوية لأول دورة للمونديال، لم يكن كثير من تفاصيل الملف الأورو-أفريقي معروفا لدى الرأي العام، سوى أنه اتفاق بين ثلاثة دول على التنظيم المشترك لأبرز حدث رياضي على كوكب الأرض.

دفع هذا الإعلان الكثير من المراقبين والمهتمين الى طرح التساؤلات حول رهانات كل من البلدان الثلاثة من تنظيم دورة كأس العالم ومدى استعداد كل منهم لهذا الحدث الضخم، وما الذي يتوفر عليه من بنيات تحتية ودعم سياسي ومالي ولوجيستيكي لاستضافة حصته من المنتخبات المتأهلة وجماهيرها ووسائل إعلامها؟ بالإضافة إلى الأعداد الهائلة من السياح الذين تستهويهم الأجواء الاحتفالية لكرة القدم، و كيف يدير المغرب وإسبانيا والبرتغال داخليا هذه الاستعدادات؟ وماهي استراتيجية الأطراف الثلاثة لهذا الملف المشترك ليكون جاهزا لهذا الحدث العالمي خلال صيف سنة 2030؟

المغرب.. أخيرا حظي بالتنظيم

بعد محاولاته خمس مرات لاستضافة المونديال، أعوام 1994 و1998 و2006 و2010 و2026، و بعد التطور الملحوظ في المنشآت الرياضية خلال السنوات الأخيرة بموازاة مع أوراش البنيات التحتية المتعلقة بشبكة الطرق و المواصلات وبناء المطارات و لتوفر على طاقة استيعابية جديدة في الفنادق المصنفة و لاقامات السياحية وتحسين الخدمات في المرافق العمومية بالمدن الكبرى، يأتي منح المغرب تنظيم مونديال 2030 ليطرح على مسؤوليه تحد جديد للالتزام بالشروط الدقيقة لدفتر التحملات الذي تضعه الفيفا من أجل احتضان كأس العالم، خصوصا بعد رفع عدد المنتخبات المتأهلة الى 48 منتخبا وطموحه لاستضافة أكبر عدد من المباريات.

سياسيا يتوفر ملف المغرب للتنظيم المشترك لمونديال 2030 بمعية اسبانيا والبرتغال على كل الدعم من المؤسسة الملكية والحكومة، فكرة القدم منذ بدايتها الرسمية بعد الاستقلال تعتبر شأنا "سياديا" وكل القرارات الكبرى فيها تتخذ انطلاقا من القصر، بما في ذلك كل الترشيحات السابقة التي قدمها المغرب لاحتضان المونديال.

غير أنه منذ إعلان الديوان الملكي عن الفوز بشرف احتضان هذا الحدث العالمي، وبعدها تعيين فوزي لقجع على رأس اللجنة المنظمة، وانطلاق أوراش إصلاح الملاعب والاعلان الحكومي عن مشروع ملعب الدار البيضاء الكبير؛ لم يتجاوز الملف طابعه "الفولكلوري" بعد، ولم يتم لحد الساعة تنزيل استراتيجية تواصلية رسمية تشرح بالتدقيق والأرقام رهانات البلاد من احتضان المونديال والمخصصات المالية لذلك ومساهمة الحدث الكروي في الرفع من نسبة النمو وانعاش سوق الشغل وباقي الفوائد الاجتماعية.

من جانب آخر، تجتهد بعض الدراسات الخاصة في طرح الفرضيات حول رقم الميزانية المخصصة لتنظيم المونديال وتعداد فوائده وعائداته الايجابية على البلاد اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، أهمها الدراسة التي أجرتها شركة سوجي كابيتال جيستيون التي تتوقع أن تصل التكلفة المالية التي ستخصصها الدولة لاحتضان الحدث إلى حوالي 5 مليار دولار (حوالي 52 مليار درهم) وهي حصته -حسب توقعات الدراسة- من مجموع ميزانية التنظيم التي ستكلف البلدان الثلاثة المغرب واسبانيا والبرتغال والتي ستصل إلى ما بين 15 و20 مليار دولار.

وترى الدراسة أن استضافة كأس العالم سيؤدي إلى تحريك عجلة الاقتصاد المحلي، وسيكون لها تأثير إيجابي على مختلف القطاعات. ويوضح محللو شركة سوجي كابيتال أن هذا الحدث يتطلب استثمارات كبيرة في البنية التحتية والملاعب والفنادق وغيرها، والتي ستمكن من خلق العديد من فرص الشغل المباشرة وغير المباشرة.

كما أنه -دائما حسب دراسة كابيتال جيستيون- من الممكن أن يكون كأس العالم حافزا لتعزيز التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية. كما سيكون فرصة لتحقيق التقاء الحضارات حول البحر الأبيض المتوسط. كما سيمكن المغرب من سطوع اسمه على المستوى الدولي. وبالتالي ستوفر هذه المسابقة فرصة للمغرب للبروز على المستوى الإعلامي والسياحي بشكل غير مسبوق.

إسبانيا ... محور ملف التنظيم

كانت إسبانيا هي صاحبة فكرة الترشح المشترك لمونديال 2030 بعد أن ضمت اليها البرتغال وبعد ذلك أوكرانيا قبل أن تستبعدها بسبب قضية الفساد المالي التي تورط فيها

رئيس الاتحاد الأوكراني لكرة القدم وتعوضها بالمغرب الذي كان ينوي الترشح بمفرده لاحتضان الدورة.

تم تأزيل فكرة الترشح لاحتضان إسبانيا للمونديال للمرة الثانية في تاريخها بعد دورة 1982، عندما صدر في الجريدة الرسمية الاسبانية مرسوم ملكي بتاريخ 20 دجنبر من العام الماضي، يقرر التقدم بطلب احتضان كأس العالم متضمنا رؤية حكومة الدولة الايبيرية لهذا الاحتضان وفوائده على الاقتصاد وعلى المجتمع.

جاء في ديباجة المرسوم أن "تنظيم كأس العالم لكرة القدم يتضمن حركة هائلة للأموال، ويكون تأثيرها على قطاع السياحة كبيرًا بشكل خاص بسبب قدوم أعداد كبيرة من المشجعين الذين يسافرون إلى البلد المضيف، مما يعزز اقتصاد البلاد ويساهم في توزيع عائداته على كل مناطق التراب الوطني".

ويتوقع المرسوم أن تبلغ ميزانية الاستثمار في استضافة المونديال الى 1,4 مليار أورو، فيما توقع أن تصل مداخيله في اسبانيا وحدها إلى 10 ملايير أورو، بالإضافة الى خلق 82 ألف منصب شغل مباشر، فضلا عن "تعزيز صورة إسبانيا على المستوى الدولي والربط بين مواطني مختلف أنحاء الأراضي الإسبانية، وكل هذا من خلال القيم الرياضية مثل المساواة والتفاني والعمل الجماعي"، يقول المرسوم.

ورغم أن اسبانيا تحقق الكثير من التطور في بنيتها التحتية وفي جودة الخدمات العامة في المرافق العمومية وفي قابليتها لاستقبال أرقام قياسية عالمية من السياح، فهي تعرف حاليا منافسة كبيرة بين حكوماتها الاقليمية وبلدياتها على مستوى تخصيص الميزانيات لتعزيز شبكات الطرق والنقل العمومي وتجهيز الفضاءات العامة وتحديث المنشآت الرياضية، وذلك بغرض استمالة لجنة التنظيم لاختيار مدنها وملاعبها لاحتضان مباريات المونديال.

البرتغال .. مونديال بأقل التكاليف

منذ بداية الحديث عن الترشح الثلاثي لاحتضان نهائيات كأس العالم 2030، كانت البرتغال بمثابة الطرف "الهامشي" والأقل جذبا للأضواء، رغم أن لها تجربة ناجحة في تنظيم بطولة قارية كبيرة من خلال كأس أمم أوربا لعام 2004، ورغم أن البرتغال تعتبر من البلدان الأوربية المتقدمة، وتتوفر على كل المقومات لتكون شريكا أساسيا في تنظيم حدث ضخم مثل المونديال.

سبب هذا الترشح المحتشم في نظر الكثير من المحللين هو غياب الدعم السياسي والمالي المطلق للجامعة البرتغالية لكرة القدم من طرف حكومة البلاد، التي صرحت على لسان وزيرتها في الشؤون البرلمانية والمسؤولة عن قطاع الرياضة في البرتغال، آنا كاترينا مينديش، في أكتوبر الماضي أنه "لدينا ثلاثة ملاعب تستوفي معايير الفيفا ولن يكون هناك بناء ملاعب جديدة، لم يكن ذلك متاحا على الإطلاق".

وأكدت الوزيرة البرتغالية في ذات التصريح أنه "نظرا لأن الأرقام الحالية قديمة، فمن المقرر إجراء دراسة جديدة حول احتضان المونديال بعد تقديم خطاب نوايا أطراف التنظيم

في الاجتماع القادم بالرباط، وأيضا لأنه من المبكر الحديث عن هذا الأمر على أية حال لأننا لا نعرف الواقع بعد سبع سنوات".

وشددت عضوة الحكومة البرتغالية على أن "الاستدامة هي شعار تنظيم كأس العالم هذا، وأعدكم باحترام التعاقدات العامة والشفافية الكاملة في استخدام المال العام وضمان

حبر الختام

عصام واعيس

ممّر الأفعى..

لم يقطع طوفان الأقصى الطريق أمام مخطط تصفية القضية الفلسطينية ومحوها من وجدان العالم فقط، بل قطع الطريق أيضا أمام مشروع اقتصادي ضخم كان سيغذي اقتصاد إسرائيل ويحرس مصالح أمريكا عبر ربط الهند بالخليج العربي والخليج العربي بأوروبا مقابل فك ارتباط المنطقة مع الصين.

بدأت القصة رسميا في 9 سبتمبر 2023، حين وقعت دول من ثلاث قارات اتفاقا يعبّد الطريق أمام ممر اقتصادي تعبر منه السلع والهيدروجين الأخضر والكهرباء والأشخاص عبر البر والبحر محوره تل أبيب ويمتد في خرائط الشرق الأوسط والهند وأوروبا برعاية أمريكية.

وقعّت السعودية والاتحاد الأوروبي والهند والإمارات وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأمريكا مذكرة تفاهم حول "مبادئ ممر اقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا" (IMEC) تنص على إنشاء ممر برأسين واحد شرقي يربط الهند بالخليج العربي وآخر شمالي يربط الخليج العربي بأوروبا، تتحرّك داخله غنائم التجارة والسياسة.

نقرأ في إعلان المبادئ عن خط سكك سيقدم عند اكتماله، "شبكة عبور موثوقة وفعالة من حيث التكلفة عابرة للحدود وتسمح بالتنقل من السفن إلى السكك الحديدية ستدعم طرق النقل البحري والبري الحالية - مما يتيح عبور البضائع والخدمات بين دول الهند والإمارات والسعودية والأردن وإسرائيل وأوروبا".

فمثلما ترعى أمريكا ممرا آخر برأسين،أحدهما المغرب والثاني السودان، لتمسك عبره إسرائيل إفريقيا من شرقها وغربها، تبحث راعية الداء العربي اليوم أيضا عن حسم الهيمنة العالمية من أرض الصراع الوجودي.

كان يفترض أن تعقد "دول الممّر" ثاني اجتماع لها في 8 نونبر 2023، وهو الاجتماع الذي "هزّه الماء" وغمره الطوفان الذي قلب موازين العالم في 7 أكتوبر 2023.

كانت الولايات المتحدة تسعى من وراء مد هذا الطريق إلى عزل الصين وإيران وتسريع تطبيع العلاقات بين السعودية وإسرائيل، واستمالة الهند إلى التحالف الأمريكي في المنطقة، قبل أن تبعثر عبقرية المقاومة في غزة أوراق الجميع.

الصحفي والمؤرخ الهندي، فيجاي براشاد، يرى أنه "بأقل تقدير، من المستبعد استئناف هذا الممر في المدى القصير"، كاشفا أن فكرة الممر بدأت "قبل إطلاق مبادرة الحزام والطريق بسنتين، حين خططت واشنطن لطريق تجاري ممول من القطاع الخاص يربط أوربا بالهند بعضوية واشنطن لتعزيز علاقاتها بنيودلهي".

يذكر فيجاي خطابا ألقته هيلاري كلينتون سنة 2011 في الهند، تتحدث فيه عن طريق حرير جديد يعبر الهند وباكستان باتجاه آسيا الوسطى. في اللحظة التي ركزت واشنطن على أولويات أخرى في سياساتها الخارجية، اكتسحت الصين بمبادرة الحزام والطريق التي أطلقتها سنة 2013، 148 دولة.

فيجاي يرى أن تحقيق الممر الاقتصادي بشكل يعزل الصين هدف غير حقيقي، باعتبار أن الصين تدير أهم ميناء بالممر وهو ميناء بيرايوس باليونان، كما أن الطريق البحري بين حيفا وبرايوس سيمر المياه المتنازع عليها بين تركيا واليونان المعروفة بآزاع بحر إيجا، زيادة على أن المشروع برمته يعتمد على تطبيع السعودية، وهو ما يبدو حاليا صعب المنال.

في الحقيقة، ليس تطبيع السعودية لوحدها من يعقد المهمة، بل الحفاظ على العلاقات مع الدول التي طبّعتها قديما وحديثا أيضا. الأردن التي تجمعها اتفاقية سلام مع إسرائيل منذ 1994، والمفترض أن ينقل الممر الاقتصادي منها وإليها البضائع والطاقة، أعلنت تراجعها عن اتفاقية الطاقة مقابل المياه.

في 2021 كانت الأردن قد وقعت مع إسرائيل والإمارات إعلان نوايا تلتزم بموجبه بتصدير 600 ميغاوات من الطاقة لإسرائيل مقابل حصولها على 200 مليون متر مكعب من المياه المحلاة من إسرائيل وهو ما سمّي بمشروع "الرخاء" !

تحلّل الأردن من رخاء كاذب، وحافظت السعودية على علاقات قوية مع إيران والصين في قلب الأزمة واستضافت قمتين حول غزة، وانتقدت مصر تحويل سيناء لمحتضن للحلول المتطرفة لإسرائيل، ورفض المغرب إدانة المقاومة، واحتضنت الصين مفاوضات حول غزة، وتلطخ الممر بالدماء وغص بالجثث والغضب في مهده..

فرغم كل الحصار والتوحش الذي يمارسه الاحتلال في حق المقاومة وفلسطين، استطاعت خنق ممر الأفعى..

امسح للاستماع
للبودكاست

the Voice
صوت المغرب

صوت المغرب... صدى الحقيقة